الأستاذ/ أنور الجندي

المعاصرة في إطار الأصالة

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(المــدخل)

ترددت كلمة الأصالة والمعاصرة على كل الألسنة دون أن يدرى المتحدثون أنهم يسقطون فى فخ كبير أعده لهم التغريبيون ، ودون أن تجتمع كلمتهم على تفسير واحد للمصطلحات فما هى الأصــالة وما هى المعاصرة ؟ وفى الحقيقة أن المعركة الجديدة هى امتداد لمعركة ممتدة منــذ وقت بعيــد جرت تحت اسم التجديد والقديم ، وتحت اسم المعاصرة والجمود ، وتحت اسم التراث والوافد ، وهناك من يطرح بديلا لكلمة (الأصالة والمعاصرة) عبارة : التراث والمعاصرة ، والمعنى لم يتغير ، وولاء العلمانيين الماديين لفكر الذين يصدرون عن عقليات مغربة لا تستطيع فهم الإسلام إلا على ضوء الفكر الغربى اليونانى والمسيحى ، تحاول أن تخفى حقدها وراء كلمــات خادعة ولو أنها أفصحت لقالت (الإسلام) بديلا عن القديم وعن التراث ، ولوصفته بالجمود والرجعية والتخلف ، ولكنها تخشى المواجهة ولذلك تلجأ إلى المواربة والخداع ، بل إن الحملة على اللغة العربية هى فى حقيقتها حملة على القرآن الكريم ، لا يستطيع القائمون بهــا أن يجهروا بذلك فيخفون أهدافهم وراء عبارات تثير المشاعر ، ولكن المضامين التى يقدمونها تكشف بوضــوح عن الأحقــاد التى تكنها الصدور : صدور مجموع مــن التغريبين والشعوبيين والمــاديين يحاولون أن تنطوى صفحة هذا المصدر الحقيــقى لوجود المسلمين والعرب ، مصدر الجذور والمنابع التى هى أساس البناء الحضارى الذى لا يمكن أن تعود نهضة المسلمين إلا على أساسها .

إن كلمة التراث كلمة مهومة ملغومة يراد بها أن يصبح الإسلام تراثا أشبه بتراث الأمم المعاصرة وجماع أساطيرها وفلكورها وموروثاتها القديمة فيتخذ منه ويترك ولكن الذين استعملوا كلمة التراث فى مواجهة المعاصرة نسوا الفوارق العميقة بين مصطلح التراث فى الغرب ومصطلح التراث فى الاسلام ونسوا أن تراث الغرب هو مجموعة كتابات كتبها بشر سواء أكانوا من أتباع الأديان أم من أتباع الأيدلوجيات ومن ثم فإن كليهما يؤخذ منه ويترك ، أما بالنسبة للإسلام فإن هناك شيء قائم كالمنار لا يمكن أن يوصف بأنه تراث هو (القرآن والسنة) وهذا هو ميراث المسلمين الأصيل الذى حفظ الله ما أنزل منه وهو القرآن والذى وصفه الرسول الكريم بقوله : لقد أوتيت هذا الكتاب ومثله معه .

هذه هى هدية السماء إلى الأرض والنص القدسى المحفوظ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والأصل الموثق ، كيف يمكن أن يصفه بضعة شعوبيين وعلمانيين بأنه تراث ؟ !

نعم هناك التراث وهو ما كتبه الفقهاء والعلماء والمفسرون ، وهذا ما يمثل تجربة الأجيال التى ينضم اليها التاريخ الذى هو بمثابة التطبيق لنظام الله وهذه فيها الخطأ والصواب وفيها ما يصلح للاقتباس وما لا يصلح . ومن هنا يتبين أن طرح القضية على هذا الوجه هو طرح له طابع التمويه ومحاولة الخداع والغش .

ومعنى الأصالة : العودة إلى الأصل ، إلى المنابع ، ونحن كمسلمين لا نستطيع أن نبنى إلا على أساسنا الأصيل ولابد أن نعود الى القاعدة الإسلامية الأساسية التى بنى عليها هذا المجتمع منذ خمسة عشر قرنا فاذا وضعناها فى مكان الحكم والاحتكام دخلنا مرحلة المعاصرة على ضوء كاشف ، ذلك أننا لا نقر تلك الكلمات المسمومة

والخادعة التى تقول بأننا يجب أن نكون معاصرين أى نساير العصر ، أو قولهم أن يعيش الإنسان عصره ، نعم يعيش المسلم عصره على قاعدته الأساسية ولا يضحى بالضوابط والقيم والحدود التى رسمها له دينه والتى قام عليها المجتمع الإسلامى من أول يوم وبنيت الحضاة الإسلامية على أساسه لا يضحى بذلك أبداً فى سبيل الجرى وراء سراب خادع اسمه المعاصرة أو الحداثة أو التقدم .

إن للتقدم فى الإسلام مفهوما جامعا ، يجمع بين المادى والمعنوى ، ولنا فى الفن مفهوم أساسى وهو غلبة الأخلاقى على الجمالى ، ودون تضحية بالأخلاقى من أجل الجمالى .

إن للمسلمين قاعدة أساسية : هى جوهر الأصالة تلك هى (ربانية الوجهة فى بناء الإنسان والأسرة والجماعة والمجتمع والحضارة) وتلك هى قصة الحضارة المعاصرة والمجتمع الغربى اليوم بشهادة كبار كتابه .

إننا نؤمن بأخلاقية الحضارة والمجتمع وبالالتزام الفردى والمسئولية الأخلاقية وبالحساب والجزاء وهو ما تتنكره الحضارة الغربية والمجتمع الغربى فكيف يمكن أن نقبل أطروحة أو (إرجانون) مخالف ، هو فى ذاته ناقص وقاصر لأن الفكر الغربى كله يجرى فى إطارين يرفضهما الإسلام : الانشطارية ، والمادية .

فالمنهج الإسلامى والأطروحة الإسلامية والارجانون الإسلامى يقوم على أساس التكامل بين القيم ويجمع بين المادية والروحية فى الكيان المتكامل .

ونحن فى (المعاصرة) لنا حق الاختيار ، فلا يفرض علينا من الغرب شيىء وحاجتنا الأساسية كلها فى العلوم والتكنولوجيا وكل

ما نختاره هو المادية ، ولنا أن نصهرها فى إطار وجودنا وعقيدتنا •

ونحن أمة لها حضارة أضاءت العالم ألف عام ولنا منهج ربانى جامع ، ومن ثم فنحن لا يجوز لنا أن نكون مستعبدين أو مقلدين أو تابعين ولا يمكن أن نقع تحت سيطرة حضــارة كانت متفوقة وهى الآن فى طريق الغروب ، ونحن نعلم أن فى الغرب أشياء كثيرة لسنا فى حاجة إليها وخاصة منهج العيش الغربى ومفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع ونحن نعرف أن الغرب يمر اليوم بمرحلة العبودية للجنس والإباحة والجريمة والاستهلاك وتبديد الثروات التى وضــعها الله تبارك وتعالى للبشرية وهذا مالا يدخل فى إطار التقدم ولكن يدخل فى إطار الانحراف •

إننا نعرف أن الربط بين الأصالة والمعاصرة ربط بين علاقتين هى علاقة الزمن وعلاقة التاريخ ، فالمسلمون يعيشون بمفهومهم الإسلامى الذى لا يضحى بالقيم ولا بالمنابع ولا بالأسس التى قامت عليهــا عقيدتهم وكتابهم وهــم قادرون أن يعيشــوا العصر على أســاس الالتزام بالأصالة ولذلك هم يؤمنون بالمعاصرة فى إطار الأصالة •

إن للمسلمين شخصية متميزة لا يمكن القضاء عليها وكل هذه المحاولات لا تستطيع أن تفعل شيئا ، وهذه المؤامرات ليست جديدة وإن لبست أثوابا مختلفة ، فإن أمة لها منهج حيــاة ربانى المصــدر إنسانى الوجهة ، وهو بذلك يختلف عن كل مناهج الأمم ، وهى تمتلك الطاقة والثروة والتفوق البشرى ، وهم يعلمون مسئوليتهم الكبرى فى إقامة المجتمع الربانى وتبليغ أمانة الإسلام إلى الانسانية والعالم كله ، إن هذه الأمة التى تملك منهجا ربانيا لا يجوز أبــدا أن تترك الجوهر التى تملك وتبحث عن التراب والصــفيح الــذى فى أيدى النــاس •

العودة إلى المنهج الإسلامى الربانى

إن أصحاب الاتجاه الإسلامى لا يمكن أن يسموا (تراثيون) كما أنه لا يمكن أن يسمى المنهج الإســـلامى بأنه تراث ، والمنهــج الإسلامى (القائم على القرآن والسنة) هو شىء غير التراث وفوق التراث • والتراث الإسلامى الذى هو نتاج الفكـــر الإســـلامى فى عصوره المختلفة ، ولا يمكن أن يوصف بأنه (التراث الدينى) بمفهوم غربى للتراث وللدين ، ولقد صنع الإسلام للمسلمين ميراثا هو المنهج الربانى وتراثا هو عطاء الفقه والتفسير والعلوم والأدب الذى قدمه عشرات من التوابع والأعلام والذى ما زال حيا ينبض ، وما تزال تستفيد منه أكاديميات البحث العلمى الغـــربى فى مجال القـــانون والعلوم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والتربية والســـياسة ، وقد قدم عشرات النظريات التى ما تزال تطبق وتدرس وهناك عشرات ما تزال تحتضنها مخطوطات التراث الإسلامى التى نهبت مـــن بلاد المسلمين وتذخر بها مكتبات ليدن والكونجرس والسربون وغيرها •

وهذا التراث الإسلامى هو معطيات العقل الإسلامى ، سواء أكان أصحابه عربا أم فرسا أم تركا ، موالى أم أمراء ، وهو شىء مختلف عن تراث الفرعونية والقبطية والفارسية والهندية والمجوسية القديمة الذى يختلف اختلافا بعيدا لأنه ينفصل عن تراث الإسلام بعامل الوثنية فى مقابل التوحيد الخالص ولذلك فإن الدعوة إلى دمج التراث الإسلامى فى ميراث ما قبل الإسلام دعوة باطلة وزائفة •

ولقد تميز التراث الإسلامى (وهو تراث يجمع بين العقيـــدة والعلوم الاجتماعية) ولا يوصف بأنه تراث دينى بمفهوم اللاهوت المسيحى ، يتميز هذا التراث الإســـلامى بأمرين : أصـــول العقيدة

كالتوحيد ، وعلوم الكلام والفقه والدراسات الاجتماعية وهى مجموعة الممارسات والتوجيهات التى عرفها المسلمون خلال تطبيق منهج الإسلام على المجتمع .

ولذلك فإن الدعوة التغريبية الشعوبية التى تجرى فى ركاب دعاة (التراث والمعاصرة) ترمى إلى .

— إحياء الفكر المعتزلى والباطنى والجبرى الصوفى على النحو الذى يكتب به فلان وفلان .

— إعادة كتابة التاريخ الإسلامى بأقلام مسمومة على النحو الذى يكتب به عبد الرحمن الشرقاوى سيرة الإمام « على » .

— تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً ماديا .

— حجب التراث الإسلامى الأصيل .

— فرض التفسيرات الاستشراقية للفكر الإسلامى .

— مهاجمة الشخصيات اللاحقة فى تاريخ الفكر الإسلامى : الغزالى ، ابن تميمه ، ابن خلدون ، المتنبى .

وها نحن نجد دوائر الاشتشراق فى الغرب تحجب عنا تراثنا المذخور فى مكتبات الغرب بعد أن تكشفت بعض نظرياته التى ادعاها علماء من الغرب ، وذلك لإحياء جانب واحد من هذا التراث ، المادية ، إحياء القرامطة والزنج وإدخال عنصر الأساطير إلى السيرة النبوية . إننا اليوم نرى محاولة القرن الثالث تتجدد : وهى محاولة فرض الفلسفات الغربية الوافدة على الفكر الإسلامى .

ولكن لقد جاءت هذه المرحلة بعد أن اتسع نطاق الوعى وعمق ، ولم يعد هناك من يستطيع أن يتجاهل هذا العملاق الذى تتسع خطواته : الصحوة الإسلامية التى تتخذ الإسلام مصدراً وحيداً

للهوية والاتجاه والنظام فى بناء المجتمع الإسلامى ، والعــودة إلى المنابع ، والتماس الطريق الذى سلكه المسلمون خلال أربعة عشر قرنا فهو ليس غريبا ولا جديدا ولا خاطئا بل الخطأ عكس ذلك ، هــو اســتمرار الولاء للمفاهيم التى ثبت فشلها وفسادها : الليبراليــة والماركسية والاشتراكية وهى جميعها إفراز المسيحية الغربية ، إن النكسة وفشل هذه المناهج فى التطبيق هى التى دفعت المسلمين إلى العودة إلى المناهج مرة واحدة على أنه هو الطريق الوحيــد بل إن المسلمين يعلمون أنهم فى مختلف الأزمات والتحديات العالمية الكبرى التى مرت بهم سواء فى الحروب الصلبية ، أو غزو التتار ، أو حروب الفرنجة لم يكن أمامهم إلا التماس منهج الإسلام ، والدخول فى خيمته ، وإسلام الوجه إليه ، وكان هو المنقذ الوحيــد ، ونحن فى نفس الموقف والتحدى ، وقد جرت محاولاتنا بتوجيه التغريبيين خلال أكثر من مائة عام ، وقد سقطت نصيحتهم لأنها لم تكن خالصة لوجه الله وتبين أن التبعية للفكر الغربى أو الحضارة الغربية ليست علامة حياة بل علامة إشراف على الفناء .

ونحن نرى هذه المحاولات الشرسة اليوم موجهة إلى الإسلام من كل ناحية حيث يوصف الإسلام : ذلك النبع الربانى المزهر بأنه تراث وبأنه سلفية ، وبأنه دين لاهوتى وبأنه قديم .

وتحل كلمة العروبة محل الإسلام فى وصف الحضــارة ، وفى وصف الثقافة ، لتخزين الوجهة الواحدة الجامعة ونحن نقول :

عـــــروبــة فى إطـــار الإســـلام

ثقـــافة عربيـــة إســـلامية الوجــه

إن تلك المصطلحات الخادعة التى تريد أن تعلى شأن العروبة لحجب الإسلام لن تؤدى إلى شىء ، وسوف لا تحجب الحقيقة إلا قليلا ، لأننا نعرف أن العروبة والإسلام وجهان لعملة واحدة ، وأن

هزيمة ١٩٦٧ قد أدت سقوط الاستعلاء بالقومية وهو التيار الذى استشرى وأنفق أطنانا من الحبر والهتافات وأعطى الفرصة الواسعة للإصلاح ، ولكنه عجز عن تحقيق الأهداف لأنه استسلم للنظـرية الغربية ، للقوميـة وعجز عن فهـم العلاقة الجذريـة بين العروبة والإسلام وأن الإسلام هو الذى أعطى العروبة وجودها ومنطلقها وأن العرب بغير الإسلام لا شىء •

لقد جاءت الصحوة الإسلامية على أنقاض مسلمات كثيرة ثبت فشلها وعجزها عن العطاء ، فكان لابد من تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والتماس الأصالة وبناء المعاصرة فى إطار الأصالة لاخارجها •

إن العودة إلى المنابع : هى السبيل الوحيد لمواجهة أخطار النفوذ الغربى والوافد ومطامع الأممية ، وأن تمسك الصهيونية بالوحدة بين القومية والعقيدة هو مفهوم إسلامى أصـلا انحرفنا عنه وحاولت العلمانية إخراجنا منه ، حتى لا نحارب قضيتنا عن طريق الإسلام ، ولقد كان الإسلام ولا يزال جنسية ولن يستطيع المسلمون مواجهة الأخطار إلا بالعودة إلى الوحدة الجامعة ، ووحدتهم الحقيقية ليست فى الأفكار ولكن فى التماس مفهوم الإسلام نفسه ، فالقـرآن هو الجامعة الحقيقية لهم ، وعلينا أن نفهم التيار القومى (عربيا وفارسيا وتركيا وهنديا) داخل إطار الإسلام ومن خلال نظرية التعـارف (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) •

إن الإسلام دين عالمى الوجهة إنسانى الهدف ربانى المصدر ، وهو دين مفتوح لتجارب العالم ، يقبل منها ما يراه صالحا لمسيرته ، وكل ما يستقبله يعرضه على جوهر مفهومه وعلى ضوئه يقبل منه ويرفض •

وعلى ضوء الأصولية الإسلامية ننظر إلى التراثأيضا فإن تراث

الباطنية والفلسفات ووحدة الوجود وزندقة أبى نوابس وانحرافات السهروردى والحلاج وابن سبعين من التراث المردود •

ولقد تتردد كلمات مضللة تقول بوجوب العودة إلى التراث ، وما طالب أحـــد بالعودة إلى التراث وإنما المطالبـــة بالعـــودة إلى المناهج فهى موجهة إلى منهج الإسلامى الربـــانى : الذى يعرف التعامل مـــع الثوابت فيـــه والمتغيرات بحيث لا يصيبـــه الجمـــود ولا يتوقف عن مزامنة تغيرات العصور والبيئات •

السؤال هو : هل هم لا يفهمون الإسلام حقيقة ، أم يفهمونه ويحاولون تزييف هذا الفهم فى نظر أهله والراغبين فى التعرف عليه من الأمم الأخرى . الحقيقة أن (مؤامرة التغريب) ترمى إلى عملين فى وقت واحــد : خلق روح الشــك والتشــاؤم والانتقــاص فى المسلمين لإسلامهم ، جوهر حياتهم ونور وجودهم ، بإشاعه هذه السموم ومحاولة فرض نظريات يقنعون بها الناس كمنطلق للتقدم والنهضة ، وكلها ترمى إلى حجب الإسلام وتراثه وقيمه واعتنــاق ذهنية الغرب المادية الإباحية التى تواجه اليوم انهياراً شديدا وتمر بمرحلة الهزيمة والسقوط ، ومنذ أكثر من ثلاثين سنة كتب كتاب الغرب عن (سقوط الحضارة الغربية) وهزيمتها ودمارها ، كتب كثيرون ، وما تزال الأحداث تؤكد صدق ما ذهبوا إليه ، إنها محاولات تمويه شديدة ، تستخدم مجموعة من المصطلحات لا تخدع أحداً ، فالمسلمون اليــوم لا يخــافون من أن يوصفوا بالسلفية ، ولا بالتراثيــة ، — ولا بالتخلف أو الجمود أو الرجعية فقد ثبت أن هذه الأسماء كلها هى فى حقيقتها إيمان بالتوحيد الخالص والعقيدة الربانية المنزلة ، وأن مفهوم الســلفية فى الإســلام يختلف عن مفهومه فى الغرب ، ومفهوم التراث فى الفكر الإسلامى له وضعه المتباين مع مفهــوم التراث فى الغرب .

ولقد كان من الضرورى أن تتحدد مفــاهيم المصطلحات التى تستعمل ، وأرضيه البحث نفسه ، فهل الإسلام فى مجموعه كالمسيحية الغربية التى أثمرت كل هذه المفاهيم ، والتى انبعثت من تطــورها وحركتها خلال العصور إن الإسلام دين منزل كالمسيحية قلنا (نعم) هو دين منزل ولكنه خاتم الأديان وكتابه مازال محفوظاً من كل تعبير وتبديل ، أما المسيحية فليست كذلك ، لقد أنزلت على سيدنا عيسى

كختام أنبياء بنى اسرائيل ، فهى ليست دينا مستقلا ، وقد حرف كتابها بشهادة كبار علماء اللاهوت ، وما هو موجـود الآن فى أيدى النـاس ليس كتاب موسى (التوراة) المنزل واسـألوا الدكتـور « موريس بوكاى » .

ولما كانت المسيحية مجموعة من الوصايا فإن تحولها إلى دين عالمى على يد « بولس » قد أدخلها فى مأزق شديد ، لأنها دين بلا شريعة ، فكان لابد من وضع شريعة بشرية ، ومن هناجاء الخـلط والاضطراب والعجز عن ملاحقة الأحداث المتغيرة ، أو مواجهة البيئات المختلفة ، ومن هنا نشـأت هذه المفاهيم الفلسفية فى المسيحية التى يحاولون طرحها فى إطار الإسلام :

— العلاقة بين العلم والدين .

— ما هو مفهوم الدين ؟

— الانشطارية بين الروحية والمادية .

— غلبة مفهوم الفلسفة المـادية .

— العلاقة بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية .

— النظرية الفـردية فى الليبرالية ، والنظـرية الجماعيـة فى الماركسية والاشتمالية .

لقـد تخبط الغـرب بين فلسفات « ماركس » « وفرويد » « وسارتر » وبين نظريات « دارون » (ودور كايم) (وديوى) ، كل هذا الاضطراب هو نتاج(المسيحية الغربية)وليست المسيحية المنزلة التى هى بالقطع مرحلة بين اليهودية والإسلام الدين الخاتم ، وقد جاء رسولها عيسى عليه السلام مصدقا بالتوراة ومبشرا بالنبى — ﷺ —

(وإذا قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسـول الله إليكـم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١) •

فليتق الله هؤلاء الكتاب من اليساريين والوجودين والعلمانيين والشعوبيين فيما يحاولون طرحه من سموم بحجه أنها منطلقـات لنهضة موهومة تحدث فى البلاد العربية والإسلامية ، ذلك أنه أمام المسلمين والعرب اليوم وبعد تجارب بدأها « لطفى السيد » « وطه حسن » و « على عبد الرازق » وصـولا إلى (أنيس منصـور) « ولويس عوض » اليوم ، ليس أمامهم إلا طريق الله الحق : هذا الطريق الذى وضح تماما بعد نكسة ١٩٦٧ حين شـعر العرب أن مناصحة التغريبيين لهم (فى كلا التجربتين الليبرالية والماركسية) كانت مضللة وأنها هى التى أسلمت العرب إلى موقف اليوم فى السيطرة الأجنبية على بلادهم وأرضهم ومقدراتهم •

إن الحقيقة التى لا محيد عنها هى أن المسلمين والعرب ينهضون بمنهج مختلف عن منهج الغرب ، بمنهج إسلامى أصيل ، يسـتمد وجودة الحقيقى من القرآن الكريم والسنة النبوية وأن كل محاولة لاحتوائهم فى منهج آخر إنما هى وسيلة ماكرة لاستبقائهم فى التيه مرحلة أخرى ، وتأخير امتلاك إرادتهم وهى وسيلة معروفة ترمى إلى استنزاف ثرواتهم وتدمير مقوماتهم وهدم معنوياتهم ووضعهم فى دائرة الاستسلام والتبعية من جديد •

أما خلق روح اليأس والتشاؤم والغربة والقلق والتمزق فهى سارية فيما يطرح الآن علينا من أدب وشعر ومن نظريات الحداثة والوجودية والسريالة وغيرها ، وهذه نتاج غربى نشأ من خلال نظرية (الخطيئة) المسيحية التى سرت فى الآداب الأوربية حتى النخاع والتى

(١) الصف/٦ •

لا سبيل إلى تخلص الغرب المسيحى منها ، أما مفـاهيم التفسـير المادى للأدب وللتاريخ والادعاء بأن الإنسان حيوان ناطق ، أو أنه خاضع للجنس (كما هو عند فرويد) أو للقمة العيش (كما هو عند ماركس) فذلك أيضا تفسير غربى من اختصاص الغرب ونتيجـة لمفاهيمة وثقافته وعقيدته التى شكلتها عوامـل كثيرة منها الفلسفة الإغريقة الاباحية ، والقانون الرومانى الذى يفسر الرق وعبودية الإنسان ، ومفهوم المسيحية القائم على تعدد الآلهة .

الحقيقة أننا فى حاجة إلى وعى شديد بهذه المطروحات المضللة ، التى ربما تعتمد على مظاهر براقة لتخـدعنا حـين تتحـدث عـن (القومية) ، ونحن لا نقر مفهوم القومية الغربى الوافد لأنه نشأ فى إطار الصراع بين الكنيسة وبين القوى اليهودية الزاحفة والتى أحلت مفهوم الوطن والقوم بدلا من مفهوم الدين ليفسح ذلك لها الطريق إلى السيطرة والقيادة فى مجالات السـياسة والمجتمعات والمـال والاقتصاد .

إن مفهومنا فى العلاقة بين العروبة والإسلام واضح :

(عـروبة فى إطـار الإسـلام) .

ولقد يكون من الواضح تماما أن الفكر الإسلامى لا يقوم على عنصر واحد فى تركيبه وإنما يقوم على عنصرين متكاملين (كما قام الإنسان نفسه قبضة الطين ونفخة الروح) الروحى والمادى ، الدنيا والآخرة ، الدين والعلم ، الأخلاقى والجمالى وهذا هو أبرز الفوارق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى . وفـارق آخـر هو الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية والإيمان بالبعث والجزاء وفارق ثالث أهم وهو : إسلام الوجه لله وإبراز الطابع الربانى فى بدء الأمـور ونهايتها ، وفى توجيه العمل كله لله خالصاً فى سبيل إقامة المجتمـع

الربانى والحضارة المؤمنة وتبليغ رسالة الله إلى الآفاق • ونحن نعلم تماما أن الغرب حين قدم للمسلمين حلولا لمشاكلهم وقضاياهم سقطت كلها واحدة بعد واحدة وفشلت إحداها فى إثر الأخرى •

أولا : لأن الغرب لم يكن مخلصاً فى وجهته فهو على الأقـل لا يرغب فى أن تصبح البلاد الإسلامية قادرة على امتلاك إرادتها •

ثانيا : لاختلاف الوسائل والغايات والمنطلقات •

ثالثا : لاختلاف الوجهة والثقافة والعقيدة •

وبعد الفشل المتكرر من خلال المنـاهج المختلفة والتجـارب المتصلة تثبت للمسلمين حقيقة واضحة صريحه كفلق الصبح •

« إنه لا سبيل إلى النهضة إلا من خـلال مفـاتيح الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامى والعقيدة الإسلامية فهى وحدها القادرة على العطاء » •

إن الغرب لم يستطع من خلال مناهجة وأفكـاره التى طرحها فى أفق الفكر الإسلامى أن يحقق الأمن النفسى للمسلمين أو الاستقرار الاجتماعى لهم لأن تجربته جاءت ناقصة وقامت على أساس النظرة المادية البحته •

وهذا العجز ناتج عن أمرين : (أولا) لعـدم وجود البعـد الربانى وهو ليس بعدا بمعنى أن هناك أبعاداً أخـرى ، كالبعـد الإنسانى ولكنه أكبر من ذلك بكثير ، (ثانيا) لعـدم وجود البعـد الأخلاقى بينما يقدم الإسلام منهجا متكاملا جامعـا بين المـاديات والمعنويات ويتكافأ مع تكوين الإنسان الجامع بين الروح والجسم وهنا نقرر مع الأسف أن الغزو الفكرى والتغريب قد سلم مسئوليه عمله اليوم إلى هذه الجماعة من أصحاب التبعية الحـاقدين على الصحوة الإسلامية والذين يريدون القضاء عليها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) •

عطـــاء الإســـــلام وتراث الغــرب

طرحت قضية (الأصالة والمعاصرة) ، أو (التراث والمعاصرة) **مقولات كثيرة لا تثبت للبحث العلمى ولا للدليل التاريخى ، وإنما هى تقوم على التمويه والمغالطة وخلط الأوراق ، وأبرز أخطائها أنها** تجعل الأصالة فى موازاة كلمة التراث ، فالأصالة موقف أما التراث فهو موضوع يمثل تراكمات النتاج الفكرى على مدى العصـــور ، وهما فى مفهوم الإسلام يختلفان عنهما فى مفهوم الفكر الغربى **ذلك** أن الإسلام قد أعطى منهجا عالميا إنسانيا رفيع القدر ما تزال الأمم والأفكار غير قادرة على استيعابه أو تطبيقه .

ومن خلال هذا المنهج برز التراث الذى يتمثل فى **كتابات العلماء والفقهاء فى مختلف الميادين (وهذا التراث مرتبط بالمنهج فى الحقيقة)** ولكن هناك دخائل حدثت من خلال **الترجمات اليونانية والفارســـية** والهندية القديمة سرعان ما واجهها العلماء وكشفوا زينها وردوها **ووضعوا قاعدتهم الأصيله : وهى أن كل ما يخالف منهج التوحيد فهو مردود** ، وكل ما وافقه فمن حق المسلمين **حين يأخذوه أن يجعلوه** مادة خاما ويشكلوها فى إطار فكرهم . سواء من ناحيـــة العقـــيدة أو الفكر أو الثقافة أو التربية .

أما التراث الغربى فماذا هو :

إنه شىء عجيب وخليط غريب من ركام الأســـاطير والوثنيات القديمة والسحر والخرافات التى عرفها اليـــونان ، ثم تفســـيرات مضطربة لفهم الكون ونشأة الحياة ، وسير الأمم ، ولا هوت مغرق فى الاضطراب يقوم فى أساسه على (التجسيم) فلما جاء عصر العلم قام على أساس (المحسوس) . وقد كانت الحياة خلال ثلاثة قرون

قبل وصول الإسلام والعلم التجريبى إلى أوربا ـ « رهبانيـة » وعزلة فى الصوامع ـ بعيدة كل البعد عن مفهوم الدين المسيحى ، وما أخرجهم منها غير الإسلام بدعوته إلى الكسب والسعى وتعمير الأرض ، ولكنها لم تثبت إلا قليلا حتى تحولت إلى « إباحية » مغرقة فى الانحراف على النحو الذى يعيشه الغرب الآن ، وكان الفكـر الغربى ـ الذى هو تراث أجيالهم ـ خليطا من هذا الركام والحطام الذى هو بمثابة أهواء البشرية ومعطيات طفولتها ، فما كان عنـد الغرب شىء له قداسة أو جلال ، ولذلك فإنهم نظروا إلى التراث نظرة الإهانة والاستخفاف وظنوا أن الأمر كذلك بالنسبة للإسلام .

لقد تكشف على يدى أعلامهم الذين قرأوا الفكر الإسلامى أن الغرب لم يكن له تراث إلا تلك الأساطير والخرافات المضطربة التى جمعها الأحبار والرهبان ، والتى لا يوجد منها إلا شىء قليل جـدا من العطاء الحقيقى ، فلما جاء القرآن تدفق على البشرية مورداً ثراً عظيماً من نعمة العلم الربانى الحقيقى الذى أفاءه على الإنسانية عن طريق الإسلام وعن طريق هذا النبى ، وهذه اللغة وهذا القران الذى خلد اللغة ، لقد انبثق عطاء نفسى وعقلى وروحى ومادى ما تزال البشرية منذ أربعة عشر قرنا تنتظر فيه فلا تسـتطيع أن تحيط به أو تستوعبه لعظمته وجلاله وقداسته ولإعجازه اللغـوى والعلمى جميعا .

هذه هى عبرة الفرق العميق بين تراث الغرب وتراث الإسلام ، وحتى الكتابين اللذين ورثهما الغرب (العهد القديم والجديد) تكشفت فى العقود الأخيرة حقائق حولهما تكشف عن بشريتهما ، فماذا لدى الغرب يحرص عليه من التراث ؟

وتجرى مقولة التغريبيين وفى مقدمتهم الدكتور « زكى نجيب

محمود » حول تلك الدعوة العريضة المبطلة التى مازال يرددها حتى ملها الناس ، وهى دعوته إلى خلط التراث بالمعاصرة لقيام منهج حضارى عربى ، وهو لا يتحدث عن الإسلام أبدا ، فهو تجاهل هذه الكلمة الشريفة ويعبر دائما عن أفكاره فى إطار ما يسمه الثقافة العربية . وما كانت الثقافة العربية إلا إسلامية الانتماء والوجهة ، فهو يقسم العاملين فى الفكر الإسلامى إلى جماعتين جماعة السلفيين أو التراثيين الذين يرون أن التراث هو وحده القادر على العطاء فى العصر الحديث وجماعة العصريين التقدميين الذين يرون أن الفكر الغربى الحديث هو القادر على العطاء ، ثم يتوسط الفريقين بذكاء ومكر شديدين فيحدث عن قاعدة يظنها تخدع أحداً فيقول : نخلط الزيت على الماء ، وما يختلطان أبدا . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على التكامل والنظرة الجامعة مع فكر الغرب القائم على المادية الخالصة ؟ . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على الوجدانية الخالصة بفكر الغرب القائم على التعدد والوثنية ؟ . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام الذى يؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو نقطة البدء وهو غاية الوجهة مع الفكر الغربى الذى يؤله الطبيعة أو يؤله الإنسان أو يؤله المادة ؟

كيف يمكن خلط الماء والزيت ؟ كيف يمكن أن تقوم قوائم النهضة العصرية بإضافة تراث أمة عاشت أربعة عشر قرنا فى إطار منهج جامع متكامل أضاء العالمين شرقا ومغربا مع فكر مادى ليس له رصيد قديم إلا الأساطير ؟ وأن كل ما فيه من قوة الآن وهو « التجريب » . فقد أخذه من الإسلام ونماه وصنع به حضارة العصر .

ماذا عند الغرب بعد هذا ؟ عنده قصص الدعارة والجنس التى أسموها الروائع وفرضوا علينا ترجمتها ، وعنده تلك النظريات الضالة التى تحمل أهواء النفوس وشهوات الغريزة التى تضمنتها

الوجودية والفرويدية وكتـابات « نيتشـة » وشـعر « بودلير » وإباحيات (أوسكار وايلد) الذى أطلقوا اسمه على جوائز أفحش الأفلام وهى جائزة (الأوسكر) هذا الإباحى الذى كتب عن تجاربة الخسيسة والتى كانت كتبه مصادرة فى أوربا حتى أعادها اليهود .

لعل دكتور « زكى نجيب محمود » ظن أن تراث المسلمين الذى يستطيع أن يخلطه بالمعاصرة هو تراث « الحلاج » « والسهروردى » وفلسفات « ابن سينا » و « والفارابى » و « ابن الراوندى » وغيرهم من الملاحدة الذين أحياهم المستشرقون ! .

ألا فليعلم أن فكر المعتزلة والفلسفات والتصوف الفلسفى كل هذا طارده علماء المسلمين وكشفوا زيفه ولم يقبلوا إلا ما كان متعلقا بالعلوم ، فلا حرج على كتابات « ابن سينا » و « والفارابى » فى الطب والعلوم ، أما كتاباته فى الفلسـفة فهى مسـتفادة من علم الأصنام اليونانى ، وهى داخلة فى الفكر الباطنى الذى روجوا له كما كشفت الأبحاث أخيرا ، بالرغم من دعاوى الدكتور « عاطف العراقى » الباطلة .

لقد وقف المسلمون من قبل موقفاً تاريخياً من الميراث القـديم كله ، وكشفوا أخطاء « جالينوس » و « أرسطو » و (أفلاطون) وردوا كل ما فيه من الفكر الوثنى ، وما قبلوه منه صهروه فى بوتقة فكرهم الإسلامى الذى كان عطاء واسعا فى مختلف مجـالات العلم والفكر والثقافة ، والذى قدم للبشرية المنهج التجريبى فى مجـال العلم ومنهج المعرفة ذى الجناحين ، والذى قـدم نواميس الكـون وسنن الحضارات والأمم فى قيامها وسقوطها ، إنه عطاء ضخم فى مختلف مجالات الحياة ، وفيما يتصل بالإنسان منـذ يولد إلى أن يموت ، ومنذ أن يصبح إلى أن يمسى ولمتظفر أمة بمثله ، ذلك أنه

منهج ربانى المصدر ، إنسانى الوجهة لم يقدمه الحق تبارك وتعالى للبشرية إلا بعد أن بلغت مرحلة الرشد الفكرى وهو منهج باق وممتد إلى أن يرث اللهالأرض ومن عليها .

ولقد جاء الإسلام ليعلن الانقطاع الحضارى بينه وبين ماقبله، وأن كل ما جاء قبله كان تمهيداً له ، ومن ثم فإن رسالة الإســـــلام قد وضعت فى إطار محكم وعقد لها منهجاً متميزاً هو امتداد حقيقى لجميع رسالات السماء ، ولكنه يفوقها بالعالمية وثبات القيم وقيـــام منهج الثوابت والمتغيرات فى داخل إطار واحد ومن هنا فقد قضى ــ تماما ــ على كل الفلسفات السابقة والتى قــامت على أســـاس الأساطير والوثنيات ، وكان من أعظم معطيات المنهج الإسلامى قيام الوحدة الثقافية الإسلامية تحت ضوء القرآن مع القابلية للتنوع تبعا للبيئات المختلفة والعصور المتوالية ، وقدرتها على الانفتاح الدائم على الحضارات على أصولها الأصيلة وأســـاسها الذى لا يتغير . ومن ثم تنصهر القوى المختلفة فى داخلها ولا تنصهر هى فى أى قوة وكانت تلك هى أبرز ميزاتها : قدرتها على الثبات فى وجه محاولات احتوائها أو صهرها واحتفاظها بذاتيتها الخاصة وتميزها المفرد.

كيف يفهم الإسلام (المعاصرة)؟

« المعاصرة » : مصطلح حديث يراد به أمران :

إن الإسلام فى حاجة إلى المعاصرة والتطور ، وإن الإسلام يعلى من شأن الأصالة أو السلفية أو المحافظة على التراث والقديم • وهى دعاوى كلها باطلة بدليلين (١) دليل جوهر الإسلام نفسه الذى كان دائما قادراً على العطاء فى مختلف العصور والبيئات، ومقوماته المرنة الواسعة القادرة على تقبل كل تطورات العصر ونمائه الفكرى والاجتماعى والحضارى • (٢) ودليل التاريخ نفسه فمتى وقف الإسلام أمام التطور والنماء وحركة التاريخ ؟ ، إنه لم يجمد أبداً ، لأن الجمود لا يدخل إلا على الأشياء التى وجدت ولم تكن موجودة ، كما هو بالنسبة للغرب فى شأن العلم وشأن الثوابت والمتغيرات ، وفى شأن الموقف من توجيه المجتمعات والحضارة ومن القومية ، وموضوعات أخرى • •

أما بالنسبة للاسلام فالإسلام هو الذى فتح الباب أمام العلم حين دعا إلى البرهان والنظر فى السموات والأرض ودعا إلى السعى والعمران ، وكانت هذه المسائل جديدة على الفكر المسيحى الغربى فاضطرب لها ومن ثم قامت لديه فكرة العلمانية والانشطارية والتقسيم الفاصل بين الروحيات والماديات وغلبة المذهب المادى وإنكار الخالق وإرادته ، وإغراقه فى الفصل بين عالم الأفكار وعالم الأشياء ، هذا الفصل بين العلم والعمل الذى أدخل على الحضارة الغربية والفكر الغربى ذلك التمزق الشديد الذى أورث هذه الحضارة هذا الصراع الشديد بين الحتمية والجبرية •

إن الإسلام يقدر المعاصرة ويقدر التطور ويقدر حركة التاريخ

ويقدر المتغيرات ، ويقدر الانفتاح ، ولكنه يضع لكل هــذه المعايير ضوابط وقوانين من شأنها أن تحفظ له جوهره وتحول دون تمزق كيانه القائم على التكامل بين المــادة والروح ، والملتزم بالتوحيــد الخالص ، والمؤمن بالمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والجزاء الأخروى •

ومن ثم فإن المعاصرة عنــده والتقدم لا يقــومان من فراغ ولا يغلبهما الجانب المادى ، لأن كل حركة فى الإســلام لا بد أن يتكــامل فيها المــادى والمعنــوى ، وأن تكون الوجهة لله خالصــة فى حركتها ، والإسلام يؤمن بالانفتاح ولكنه انفتاح منضبط ومشروع بحيث لا يؤثر على الطابع الإسلامى ، ولا يدخل المسلمين فى تبعية أو انصهار فى قيم مجتمعات أخرى •

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن العصرية والحــداثة والتقــدم لا يعرفون أن للإسلام فى ذلك قانونا واضحاً ، ونظاماً مقرراً ، ولكنهم يخدعون الناس حين يتحدثون عن التطور والتطوير ، ظنا منهم أنهم يستطيعون هدم القيم الثوابت وهم يتحدثون عن التطور بمفهوم الفكر الغربى المادى ، البشرى ، الذى هو مجموعة نظريات قدمهــا فلاسفة ثم اخترقتها المتغيرات ، فهى فى حاجة إلى إضافة وحــذف وليس كذلك الإسلام الذى هو نظام ربانى : (إنسانى الوجهة عالمى النظرة) والذى قام على أساس (الثوابت) التى لا تتغير ولا تتطور و (المتغيرات) التى تتحرك فى داخل الثوابت ، أما دعاوى تطــوير الشــريعة وتطوير اللغــة وتطوير القيم فذلك أمر كله من مؤامرات التغريب ، الذى يرمى إلى هدم الثوابت والحدود والضوابط التى وضعها الإسلام حماية لوجود الإنسان وحماية لمجتمعه ، وهذا أيضا ممــا يختلف فيه المنهج الربانى (الإســلامى) والمنهج البشــرى (الغــربى) •

فالمعاصرة والحداثة والعصرية قائمة ويعترف بها ولكن بحدودها وضوابطها ، إيمانا بأن الإسلام لن يكون مبرراً لفساد المجتمعات وانحرافاتها ولا لانزلاق الحضارة إلى المادية المغرقة والفساد الاجتماعى ، وهؤلاء الذين يطلبون من الإسلام أن يبرر وجود المجتمعات الفاسدة مبطلون فعلى المجتمعات أن تعدل من طريقها حتى تلتقى مع منهج الله .

ومرونة الإسلام وسماحته ووسطيته كل هذه أمور قائمة فعلا ولكنها لا تتجاوز دائرة (المتغيرات) أما دعاوى البعض بالبحث عن (الرخص) للاستعاضة بها عن العزائم فأمر لا يمكن أن يكون قاعدة أساسية لمجتمعات إسلامية تريد أن تبنى نفسها على أسس سليمة لإقامة حضارة إسلامية متجددة .

أما الخلط بين مناهج الغرب ومناهج الإسلام على النحو الذى قامت عليه تجارب بعض الأمم الإسلامية ، فى إطار العلمانية والقومية والاشتراكية وتلك المحاولات التى تجمع بين قيم متضاربة أو متعددة ، فكل ذلك مآله الفشل ، وقد فشلت تجارب تركيا وأندونسيا وغيرهما فى اعتناق الديمقراطية والقومية والليبرالية والفاشية والاشتراكية ، وليس هناك غير منطلق الإسلام نفسه السمح الوسط القادر على العطاء الملتقى مع الفطرة والعلم . ولم تستطع أى دولة من هذه الدول التى اعتنقت هذه الأيدلوجيات أن تحقق أى قدر من التقدم الحقيقى ، وما تزال قابعة فى دائرة التبعية .

وثبت أن الثقافة الأوربية ظلت بمثابة قشرة على سطح المجتمع ، ولم تلبث أن ظهرت طوابع الإسلام قوية وقد تبين أن الثقافة الغربية ليست عالمية كما تقدم نفسها للناس ، وإنما هى نتاج لاينجح خارج دائرة بلاده ، لأنه قائم على قيم ومناهج يونانية مسيحية وثنية .

وقد دخلت تركيا دائرة التغريب منذ خمسين سنة ومع ذلك فإنها لم تستطع أن تسهم بشيء ما فى مجال التكنولوجيا ومازالت عالة على الغرب ، وكل ما كسبته أنها فقدت هويتها الإسلامية ولو إلى حين .

وقد أكد كثير من الباحثين أن التبعية للثقافة الغربية ليس لها نتائج إيجابية حقيقية فى تقدم العرب والمسلمين وإنما تؤدى إلى عكس ذلك وتظل موجهة إلى تحقيق هدف الغرب فى السيطرة على العالم الإسلامى .

ولقد صنعت الحضارة الغربية — أساسا — من منهج التجريب الإسلامى ولكنها تجاوزت قيم الإسلام فى فهم الحضارة ، وقوامها الرحمة والإخاء البشرى وعدالة التوزيع ، واستعلت بالعنصر والدم على الملونين وأسرفت فى تبديد الثروات الطبيعية التى أعطاها الله للبشرية فى بناء مجتمع الاستهلاك والترف والفساد والانحلال ونسيت فى هذا الطريق الوجهة الصحيحة ، وتجاهلت صاحب العطاء الحقيقى فأنكرت صلتها بالله تبارك وتعالى وادعت أن الطبيعة تخلق ، وتجاهلت جانب المعنويات واتجهت إلى السيطرة على العالم وإذلال العناصر غير البيضاء وإشاعة روح الرعب من إنتاج الأسلحة التدميرية والتنافس فى السيطرة على الفضاء الخارجى وحرب الكواكب .

وهى بذلك تتقدم فى طريق الفناء والسقوط من ناحيتين :

من ناحية تجاهل الوجهة الربانية الحقيقية للحضارة والمجتمعات :

ومن ناحية هدم مقومات الشخصية الإنسانية والأخلاقية وإشاعة روح الإباحة وثورة الجنس وهى لامحالة منهزمة .

ودلائل الهزيمة واضحة ، فقد غاضت الأرحام فى الغرب ، وفى

خلال العقود الثلاثة القادمة سوف يتقدم عالم الإسلام تقدما ، واسعا فى طريق النمو السكانى والثروة والطاقة ، وبذلك يتمكن من السيطرة على مقدرات الحضارة العالمية •

ومن هنا فلا بد أن تنمو هذه الثمار فى إطار الإسلام ومنهجه ومسئولياته وفهمه لربه ولعطائه ولإقامة مجتمعه وبنـــاء حضـــارة الإنسانية الكريمة السمحة القائمة على الإخـاء البشرى والعطـاء والرحمة •

أصـــالة الصحـــوة

يدهش العلمانيون للصحوة الإســلامية ، ويعجبون ليقظــة العملاق ، وقد كانوا يظنون أنهم استطاعوا ترويضه أو القضاء عليه من خلال تلك المؤامرة التغريبية التى اتصلت الآن أكثر من مائة عام والتى شـــاركت فيها — على مراحــل متعددة — قوى الاستشراق والتبشير والشعوبية والغزو الثقافى الغربى الليبرالى والماركسى ، والصهيونى من خلال سموم طرحت فى المناهج الدراسية والثقافية ، ومن خلال حجب تطبيق الشريعة الإسلامية ومن خلال فرض النظام الربوى على الاقتصاد ، ومن خلال إفســاد المجتمعات وخلق روح الإباحة والتحلل والشهوات والرشوة والنهب .

وقد كانوا يظنون — بعد نكسة ١٩٦٧ — أن الأمر قد انتهى ، وأن المارد المسلم قد أسلم نفسه للموت ، وعلت الصيحات تتحدث عن الدولة العصرية العلمانية المادية التى تتخلص من آخــر صلاتها بالدين والأخلاق والقيم والتى تقبل منهج الغرب ومفاهيمه ، وتستسلم للانصهار فى بوتقته ، ولكن هذه القـــوى كانت واهمة لأنها لا تعرف حقيقة القوة الإسلامية الكامنة فى النفس المسلمة وجذورها الراسخة فى الأرض ، وكأنها لم تقرأ تاريخ الإسلام فتعرف منه أن الإسلام حين يتعرض مجتمعه للازمة ، فإن قوى داخليـــة تهب مـــن أعماقه لتصحح له الطريق .

إننا بالنسبة للغزو الصهيونى والســيطرة على بيت المقــدس أشبه بالحملات الصلبية التى هزمها المســلمون ودمروها وأعادوها مدحورة كليلة ، وإننا بالنسبة للغزو الثقافى أشـــبه بموقف المسلمين من ترجمة التراث اليونانى القديم ، وقفنا منه منذ اليوم الأول موقف

المراجعة والعرض على أصول الإسلام ، فما كان معارضا للتوحيد الخالص رفضناه ، وما قبلناه منه حولناه إلى مادة خام نشكلها داخل بوتقة فكرنا وبمفاهيمة وقيمة.

لقد جدد الإسلام تراث النبوة وكشف زيف تراث البشرية ، ونحن الآن نمر بنفس هذه المرحلة مرة أخرى ، بعد أن جددت التلمودية تراث السحر والأساطير والفكر الباطنى وأعادته مصاغا صياغة جديدة على هيئة نظريات لها طابع علمى ، كما تراه اليوم فى كتابات «فريزر» « وفرويد » و « ماركس » و (سارتر) و (دوركايم) ، وعلينا أن نفعل نفس الأمر ، إننا نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة المسلمين بعد ترجمة الفلسفة اليونانية .

إن هناك محاولة يراد فرضها على الأمه الإسلامية وهى من شطرين :

الأول : أن يأخذ المسلمون أسلوب الغرب كاملا كما هو ، وأن يتجاهلوا منهجهم الربانى الأصيل .

الثانى : أن يظلوا تابعين للغرب تبعية كاملة فلا يتمكنوا من إقامة مجتمعهم الربانى أو استئناف حضارتهم الإسلامية بمفاهميها الصحيحة وهم يرمون من وراء ذلك إلى هدم الثقة بالنفس الإسلامية وتأخير هذه النهضة البارزة الآن للعيان وإجهاضها أو تحويلها عن وجهتها ، وذلك من خلال هذه المؤتمرات المشبوهة التى تعقد هنا وهناك وتجمع لها تلك الأسماء المختلفة الهويات من أجل الوقوف فى وجه التيار الأصيل ودفع المسلمين إلى السبل المتفرقة التى أوصاهم القرآن بأن يتجاهلوها وأن يجتمعوا على الطريق المستقيم .

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١) .

---

(١) الانعام/١٥٣ .

نحن نعرف أن العالم كله الآن (والغرب على وجه الخصوص بعد أن تكشفت له حقائق الأمور فى كتبه المقدسة) يتطلع الآن إلى ضياء الإسلام (لا بوصفه دينا جديدا ولكن بوصفه دين الإنسانية كلها ، أعيد الوحى به نقيا خالصا ليرفع الخلاف الذى أوجده قادة الأديان بغيا بينهم ففرقوا الناس أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون) والإسلام اليوم يستطيع أن يشبع أشواق النفس الغربية المتطلعة إلى العقل بمفهوم الإسلام الجامع بين العقلانية والروحية ، والمتطلعة إلى العدل بإعلاء الحق على الباطل ، والمتطلعه إلى الحق بقبول ثبات القيم والتجاوز عن موروثات التقاليد الباطلة وبالصلة بالله الواحد ، صلة خالصة ليس فيها وسطاء وبالمساواة حيث لا فضل لعـــربى على أعجمى ولا لأبيض على أســـود ولا لجنـــس ولا دم ولا عنصر ، إلا بالتقوى هذه المبادىء التى أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، وهذه المناهج التى قدمها والتى أخذها العلم الحديث وأقرها ، وهذه الحقائق التى كشفها حين أعلن أن الكتب القديمـــة كتبت بأيدى الأحبار والرهبان ، وقد جاءت مؤتمرات اللاهوت الأخيرة تؤكد ذلك وتقره ولا تبرأ منه •

وجاءت تجارب الغرب نفسه لتثبت فشلها واحدة بعد أخرى :

فى مجال الانتماء : فشلت الإقليمية والقومية •

فى مجال الاقتصاد : فشلت الرأسمالية والربوية والماركسية •

فى مجال النفس : فشلت الفرويدية وتبين خطأ نظرية الجنس وفسادها •

فى مجال الاجتماع : فشلت نظرية مدرسة العلوم الاجتماعيـــة (دوركايم) •

فى مجال السياسة : فشلت نظرية الديمقراطية والفاشية والدكتاتورية .

فى مجال العلم : فشلت نظرية إخضاع العلوم للسيطرة العالمية.

فى مجال الحضارة : فشلت فكرة الاستعلاء بالعنصر وحضارة الرجل الأبيض .

فى مجال المرأة : فشلت فكرة هدم الأسرة وإخراج المرأة إلى المراقص وجعلها أداة جنس وتطالب المرأة اليوم بالعودة إلى بيتها .

فى مجال البيولوجيا : فشلت نظرية التطور التى نسبت إلى (دارون) وتقول بأن الإنسان حيوان .

فى مجال الفلسفة : فشلت نظرية « نيتشة » فى قتل الضعفاء وسيطرة الأقوياء والإنسان الأعلى .

فى مجال الأدب : فشلت نظرية إخضاع العمل الأدبى لنظرية أن الإنسان تحكمه غريزة الجنس وغريزة الطعام .

فى مجال الإنسانيات : فشلت محاولة إخضاع الإنسانيات لنظرية المادة والعلوم التجريبية وتبين أن الإنسانيات لا تخضع للمادة .

المشروع الحضارى الإسلامى

تطرح بعض المنظمات التى تحمل لواء القومية ماتسميه المشروع الحضارى العربى • وتحاول أن تضع له عناصر ذات أسماء إسلامية : كالعدل الاجتماعى ومواجهة الاستبداد والوحدة فى مواجهة البجزئة، وهى محاولة ترمى إلى تقديم المشـــوه فى وجه المنهج الإســـلامى الأصيل ، وهى معاودة يائسة لمحاولة إعطـــاء المفاهيم القومية دوراً جديدا من خلال الأدوات والأرضيات التى كانت فى الماضى للتيـــار القومى الذى لم يفسح المجال فى العصر الحديث إلا لتيار مثلهوقد استطاع خلال الستينات الســـيطرة على الصحافة والفكـــر والثقافة والتعليم وأعلن عن نفسه بكل الوسائل وطرح مفاهيمه فى كل اتجاه وأفق •

ومع ذلك فقد عجز عن أن يحقق شيئا ذا قيمة ، لماذا لأن التيار نفسه مدخول ومضطرب ، وليس مطابقا للفطـــرة وليس متصـــلا بمواريث الأمة ، إن النظرية القومية الغربية التى طرحتها المنظمات العربية فى الماضى ، والتى ما تزال متشبثه بها وتحاول تجـــديدها لن تحقق نموا أو تقدما لأنها منفصلة عن الأصالة ، ومن هنا فقد عجزت أن تحقق أشواق العرب لأنها فصلت نفسها عن أمرين هامين (١) عن المنهج الإسلامى (٢) عن الأمة الإسلامية • ولما كانت النظرية القومية الغربية وليدة الخلاف بين الكنيسة والقوميات فقد اختلفت تماما عن (الوحدة العربية) التى هى وليدة الإسلام نفسه والتى لم تقف معه موقف الصراع ، ولكن القوميين حين تحدثوا عن العلاقة بين الإسلام والعروبة أعلوا شأن العروبة واعتبروا الإسلام مرحلة منها وتلك مغالطة واضحة والحقيقة الواضحة أن الإســـلام هو الذى صـــنع

العروبة وأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا إلا قبائل متفرقة متصارعة وأن الإسلام هو الذى أعطاهم هذا الوجود الحقيقى ، وهـو الذى فتح لهم آفاق الانطلاق إلى أقطار الأرض وأعطاهم القرآن الكريم الذى حفظ لهم وحدة اللغة العربية ، ومن ثم وحدة الأمـة ، وإذا كان العرب يصرفون وجههم عن الإسلام كمنهج حياة فإنهم سيغرقون فى أوحال المذاهب الغربيـة المضطربة ، وإذا كانوا سيعلون شـأن الجنس والدم والعرق ، ويغلقون حدودهم عن إخوتهم فى الوطـن العربى الواسع الذين تجمعهم أخوه الدين والثقافة والعقيدة والفكر : فرساً ، وتركاً ، وهذا ، فإنهم يسيرون فى غير الطريق الصحيح •

إن المفوم الإسـلامى هو تداخل الحلقـات الثلاث وتكاملها : الوطن ، والقومية ، والإسلام (أمة وعقيدة) وقد تناثرت الحلقات عندما جاء النفوذ الاستعمارى فأعلى شأن الإقليميات وبعث تراثها القديم السابق للإسلام من أجل أن يمزق الوحدة الإسلامية السياسية الجامعة ، وقد تحقق له ذلك ، وأعانه عليه بعض الذين كانوا يحصون على الدولة العثمانية ضعفها وقصورها ، وكانت غاية النفوذ الأجنبى الأولى تحطيم الوحدة الإسلامية الجامعة وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وفتح الطريق أمـام الصهيونية إلى فلسطين ، فكنا لها عونا ذلك ، غير أنه بعد أن سقطت الخلافة — إلى حين — تجمع العرب حـول العروبة كحلقة يقفزون منها إلى الوحدة الإسلامية ، ولكن قوى تغريبية كثيرة حاولت أن تجعل العروبة غاية الغـايات ووصفتها بالرسـالة وبالنبوة ، وجعلت لها تاريخاً •

إن المشروع الحضارى الإسلامى هو منطلق الصحوة الإسلامية الحقيقية وإعطاء الحضارة الإسلامية دفعتها نحو العطاء مرة أخرى بعد أن توقفت ولن يكون ذلك إلا بالتربية وبناء الأجيال الجديدة على

روح الإيمان والغداء ، والمرابطة فى الثغور . إن المسلمين اليوم قادرون على بناء منهج علمى تكنولوجى إسلامى يفتح مفهوم الإسلام للعلم والحضارة .

لقد أعطى المسلمون اليوم ثلاث منجزات حضارية : هى المال والطاقة والتفوق البشرى ، وإن الطريق أصبح مفتوحا إلى استثمار ثروات المسلمين فى أرض المسلمين ، وإقامة السوق الإسلامية المشتركة وبناء الصناعات الإسلامية الثقيلة .

إن استعلان وجهة النظر الإسلامية فى كل أمور الثقافة والمجتمع والاقتصاد والتربية ضرورة حتمية فى مواجهة التيارين الساريين اللذين يسيطران الآن على الصحافة والثقافة . إن نفوز القوى الأجنبية مازال يحول بين المسلمين وبين منهجهم التربوى الإسلامى .

إن القوى الغربية تعمل على أن تهلك ثروة المسلمين فى مجالات الترف والتحلل والفساد ، وهى ليست ثروة مطلقة ولكنها ثروة أمة تريد أن تبنى كيانها وتحمى وجودها وتحرر أرضها إن محاولة دفع المسلمين إلى آفاق التحلل والترف لبيع مواد الاستهلاك هى مؤامرة يراد بها القضاء على الثروة الإسلامية وتبديدها ، إن علينا أن نقيم دعائم المشروع الحضارى الإسلامى على تصحيح الأخطاء :

— تحرير المسلمين من التعليم العلمانى وإقامة منهج التربية الإسلامية مع التعليم .

— تحرير الاقتصاد من الربا والحيلولة دون استنزاف الثروات وخراب البلاد بالقروض والربا .

ـ الشريعة الإسلامية لتحرير المسلمين من القانون الوضعى والتحلل الاجتماعى ٠

ـ تحرير الصحافة العربيـــة من نفوذ الماســونية والشيوعية والبهائية ٠

ـ تحرير الجامعات من نفوذ المدارس الفلسفية الملحدة وسيطرة الاستشراق الغربى والروسى والصهيونى ٠

العودة إلى المنـــابع لا « التنوير »

العودة إلى المنابع : هى صلب دعوة مدرسة الأصالة التى حمل لواءها الإمام « أحمد بن حنبل » حين صاغها الإمامين « ابن تيمة » « وابن القيم » فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون جيلا بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى اليوم .

وهناك من يطلق على هذه اليقظة كلمة « التنوير » : وكلمـــة التنوير كلمة صهيونية ، تعنى إخراج الفكر الغربى من صبغته المسيحية إلى طابع العلمانية والإلحاد وهى المرحلة التى ســيطر فيها اليهود على الفكر الغربى لإخراجه من سماحة المسيحية إلى « تآمر اليهود » على البشرية والبدء فى إخراج مخططهم الذى عرف من بعد باســم « بروتوكولات صــهيون » والذى بدأ بتحــريف دوائر المعــارف الأوربية وإخراج مادة (خزر) منها وتشويه مواد العرب وفلسطين واليهود وإسماعيل وغيرها ، وذلك فى سبيل الادعاء بأن اليهود حقا فى فلسطين وبأنه كان لهم وجود قبل العرب (وهذا ماكشفت فساده الأبحاث العلمية والحفريات الأثرية) .

ويسجل المطـران « إيليا خــورى » أن الصهيونية هــودت الديانة المسيحية فيقول : « لقد تعايش المسلمون والمسيحيون أربعة عشر قرنا وتفاعلوا فى الحياة الوطنية ، فعاشوا فى السراء والضراء مدافعين مناضلين عن الحق العربى واليوم فهنــاك من يقولون بأن المسيحية الغربية هودت الديانة المسيحية ، هــذا ما يقلقنى ، لأن اليهودية والصهيونية العالمية استطاعت أن تؤثر على تلك القوة فبدلا من أن تجعلنا قوى فاعلة فى سبيل الخير والسلام جعلت منا أمــة تدعم أعداءها بالسلاح والمال » .

ولذلك فإن الصحوة الإسلامية التى نعيشها الآن ، والتى تتآمر القوى الثلاث على إجهاضها أو تدميرها إنما نشأت نشأة طبيعية من خلال مفهوم أصيل لليقظة والأصالة والعودة إلى المنابع ، وقد مضت خلال عقود مختلفة حتى دخلت اليوم مرحلة « الرشد الفكرى » لقد صدرت الصحوة الإسلامية من « المنابع » الأولى وليس من أى مصدر آخر ، وإن هذه المحاولة ترمى إلى صرفها وتحويلها واحتوائها • لقد كان الإسلام قادراً دائما على التجدد من الداخل وعلى انبعاث النهضة من أعماقه حين تقع كل الأمة فى أزمة التخلف •

ومن الحق أن تؤمن أن كل نهضة غير متصلة بالمصادر الأولى فهى نهضة زائفة ويمكن أن تضل طريقها ، وهذا ما يحاوله التغريب مع الفكر الإسلامى حين يحاول حجب الأدب والثقافة المعاصرة عن جذورها وأصولها الإسلامية تحت اسم عازل مثل الفكر العربى أو الثقافة العربية والحضارة العربية بديلا عن الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، وهذه — ولا شك — أخطر التحديات ، فلنحدد هذه النغمة الضالة المضلة ، وعلينا أن نظل مرتبطين يأولياتنا الإسلامية وأصولنا التاريخية •

ومن أشد المحاذير خطراً الفصل بين القيم ، أو الفصل بين الفكر والتطبيق ، فالإسلام منظومة جامعة للأدب والعلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع وإن من أخطر ما واجه الغرب فكرة «ديكارت» التى تفصل بين الفكر والتطبيق ومفهوم الإسلام هو النظرة الجامعة بين الكون والحياة ، والمجتمع والإنسان ، وقيام المسئولية الفردية والنظام الاخلاقى والجزاء الأخرى • وفى مجال التربية تقوم التربية على الترابط بين بناء الشخصية والنفس والجسم والعقل جميعا ، وتقوم حركة الترجمة الإسلامية على أساس تقديم إطار كامل لكل

فكر يقدم ، ومعرفة ظروفه وعصره ، وتحـديات عصره ، ومـدى التقائه بفكرنا الإسلامى أو اختلافه عنه .

والأمة الإسلامية اليوم يجب أن تكون يقظة لا تقبل الأمـن الخادع ولابد من إنماء فكرة أن يكون قومنا فى رباط دائم واستنفار مستمر ، ويقظة لا تعرف الاسترخاء ، فالعالم الإسـلامى مستهدف من أعداء البشرية وخصوم الإنسانية ، فأمتنا يجب أن تكون قادرة على الردع والدفاع والحماية كذلك فإن من أخطر المحاذير أن نفسر تاريخنا الإسلامى بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية ، وهى محاولة فاشلة ولن تجد فى هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية أى قبول لها كذلك فإن القول بأن الحروب الصليبية هى صراع بين العرب وأوربا هو قول باطل تماما ولا دليل عليه ، فمتى كانت هناك عروبة تصارعها أوربا فى هذه الفترة ؟ وكلمة العروبة كلمة حديثة لم تستعمل إلا منذ سبعين عاما على الأكثر .

وغاية الأصالة والعودة إلى المنابع تنصب على رفض مقـولة كتاب التغريب بأن أسـلوب الغـرب هو المنطلق الذى يستطيع به المسلمون أن يحفظوا كيانهم ، ويحققوا وجودهم ويقيمو مجتمعهم ، وقد كانت هذه دعوى خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة منـذ أثارها « طه حسين » « ومحمود عزمى » وغيرهم ، وقد تكشـف بطلانها منذ انتزعت (القدس) من أيدى . المسلمين وثبت فشـل المنهج الليبرالى الغربى بعد الحرب العالمية الأولى ، كما ثبت فشل المنهج الماركسى الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانيية . إن ماظنوا أنه عامل موصل للنهضة تبين أنه عامل عازل يسلم المسلمين والعرب إلى الاحتواء الكامل والانصهار فى بوتقة الأممية العالمية .

فى العالم اليوم ثقافات متعددة تقبل قانون التبادل والانفتاح وتحافظ فى نفس الوقت على وجودها الأصيل وملامحها الحقيقية ، ولا توجد ثقافة يطلب منها أن تتنازل عن مقوماتها الأســاسية وأن تقبل التلقى والتداخل والانصهار كما يطلب دعاة العصرية والتقدمية والحداثة من الثقافة العربية الإسلامية . وما من أمة من الأمم قبلت أن تتنازل عن ارتباطها بماضـيها وقيمها الأســاسية ، حتى الأمم التى غيرت وجهتها الأيدلوجية تغييرا تاما كالســوفيت ، وما يزال « زكى نجيب محمود » و « حسين فوزى » و (فؤاد زكريا) يلحون على هذه الأمة أن تتقبل الفكر الغربى مادامت قد قبلت الحضـــارة المادية الغربية (كالآلات والأدوات والمصانع) ولا أدرى مــن أى نظرية من النظريات يمكن إقناع المسلمين وحدهم بأنهم ماداموا قد ركبوا الطائرة واقتنوا أجهزة « التلفزيون » فإن عليهم أن يقبــلوا فكر الحضارة الغربية ؟ وما علاقة هذه المعطيات المــادية للحضــارة بأسلوب العيش الغربى ؟؟ إن هذه الأدوات الحضارية هى أجهــزة تصلح للاستعمال بادخال الفكر البوذى أو الفكر الماركسى أو الفكر الإسلامى إليها دون أن يكون هناك حرج عليها فى تقبله فلماذا هذا الإلحاح الشديد والمتصل بأنه من الضرورى قبول فكر الغرب مادمنا قد استعملنا أدوات حضارته ؟ . إن هذه الأدوات هى نتاج التجريب المادى الذى تقوم به المعامل والأنابيب ، وهو المرحلة المتقدمة مــن منهج صنعه المسلمون أساسا ، فلماذا يطالب المســلمون بأن يقبلوا فكر الغرب وهو فكر مادى ، وثنى ، انشطارى ، يقوم على أساس واحد هو إنكار الماورائية ، وتجاهل الصــانع الأكبر ، والاعتــداد بالقدرة البشرية ، وتوجيه الصناعة والحضارة إلى استنزاف الثروات

وإشباع المطـــامع والشهوات وخلق طـــابع الاستهلاك والترف وهو ليس أحسن الأساليب لاستعمال أدوات الحضـــارة ، وليس المنهج الاقتصادى سواء الرأسمالى الحر أو الاشتراكى المقيد بالأسلوب الأمثل بالنسبة لاستغلال الثروات .

ولقد أخذ العالم الإسلامى بالليبرالية والاشتراكية وفكـــرة الدولة القومية ولم يستطيعوا أن يتقدموا خطـــوة على طريق بنـــاء مجتمع الرخاء والأمن بل أصبحوا أداة تابعة محتواة للتيار الغربى المتصارع ، وقد وصلت الحضـــارة وأيدلوجيـــاتها إلى مرحـــلة الاضطراب الشديد ، وارتفعت الصيحات تدعو إلى نظـــام عـــالمى جديد ، وقد تبين بوضوح الحد الفاصل بين ثقافة الإســـلام وثقافة الغرب (بشقيه) والثقافة تعبير عن أصالة الأمة الخاصـــة ومزاجها وروحها وذوقها ووجدانها ، وهناك محاولات لتمييع هذه الثقافة عن طريق الأعمال السينمائية والمسرحية التى تريد إقحام عادات الغرب وتقاليده على أمتنـــا ، وفرض النموذج الغربى وأسلوب العيش بكل مفاهيمه للأسرة والعرض والأخـــلاق تحت اســـتحاله العـــزلة بين الثقافات . والحقيقة أن هناك سداً مانعا عاليا مرتفعا لا يمكن اقتحامه بين أصول ثقافات الأمم ولكن هناك التقاء واقتباس وتبادل فيما دون ذلك من علوم ومعارف .

ومن أجل أن يفرض الغرب ثقافة وأسلوب عيشـــه يدعو إلى الحرية والحداثة التى تفصل الحاضر عن الماضى وتنظر إلى التراث نظرة الازدراء ، وقد اختلط تراث الإسلام بميراثه السماوى الربانى فأعطاه قوة وأصالة وفطرة ، وفرضه فى جذور قلوب الرجال وضمائرهم فلن تستطيع قوة من قوى التغريب أن تصهره أو تنتزعه . ولا يمكن المزج بين التراث الإسلامى وبين فكر الغرب المعـــاصر ولكن يمكن الالتقاء على قاعدة الإسلام نفسها وهى قاعدة (البناء على الأساس)

تأخذ الأدوات كما أخذت اليابان وتحتفظ بذاتيتنا وقد بلغت اليابان أرقى درجات العلم والتكنولوجيا دون أن تفقد ذرة واحدة من تراثها (وهو تراث وثنى) فما بالك بالميراث الإسلامى الربانى الأصيل الذى سوف لا تجد البشرية بعد قليل سبيلا غيره تسكله ، وقد جربت كل المناهج والأيدلوجيات وشهدت فشلها وسقوطها وعجزها عن عطاء النفس الإنسانية •

إن الغرب لا يطمع إلا فى صهر المنطقة الإسلامية فى بوتقته ، ودفعها إلى التسليم الكامل لحضارته العالمية المادية التى تجنح إلى الغروب ، كذلك فقد انكشفت مؤامرة الدعوة إلى محاربة الغرب بنفس سلاحه وهى التى حمل لواءها التغريبيون خلال العقود الثلاثة الماضية فقد كانوا يخدعوننا بأن اعتناق ثقافة الغرب هو الذى يعطينا القدرة على استخدامها سلاحاً ضد الغرب نفسه ، وقد جربنا وتبين لنا أنها من الأهواء المضلة • إن هذه الولاية لثقافة الغرب هى التى كونت هذه القيادات المسيطرة اللامعة الأسماء فى مجال الصحافة والثقافة والتعليم ، وهى التى وسعت رقعة الاحتواء والولاء •

يجب أن تنمو فى العقل الإسلامى والنفس الإسلامية حصانة قوية • وشعور بالخطر على التراث والميراث ، لأن مؤامرات القضاء عليهما مستمرة ، ومحاولات طمسها تجرى من كل طريق ، وكلما كشفت مؤامرة خلقت مؤامرة من نوع جديد ، ترمى كلها إلى استدامة السيطرة على العقل الإسلامى والكيان الإسلامى ليكون تابعا وخاضعا لامبراطورية الربا والسيطرة العالمية •

ومن هنا كان لابد من وضع قاعدة البناء على الأساس موضع التطبيق بالنسبة للفكر الوافد وبالنسبة للفكر القديم الذى كان بعضه متصلا بدوائر الزنا دقة والمجوس ومدارس حران وطوس ، والمدارس الهلينية والغنوصية والأفلوطينية ، والذى يتجدد الآن — على أيدى

العلمانيين والماركسيين • ومن هنا يجب أن يبرز تيار الفكر الإسلامى الأصيل المستمد من مفهوم أهل السنة والجماعة •

ونحن نعرف أن الثقافة مرحلة بعد التعليم والتربية ، وكلها يجب أن تستقى مصدرها من المفهوم الإسلامى الأصيل ، وقد تبين أن الثقافة الغربية التى احتضنها المسلمون والعرب فى العقود الماضية لم تكن ثقافة عالمية ، ولكنها كانت تجارب مضطربة لغرب أوربا وحدها ، وكان الغرب يضع تجاربه لنفسه ثم يفرضها على الآخرين ، وإن التجربة الماركسية لم تكن إلا رد فعل للتجربة الرأسمالية ، وكلتاهما تجربة واحدة غربية لأمم لم يقدم لها دينها منهجا للحياة ولا نظاما للمجتمع فظلوا يتخبطون ومازالوا ، وكيف يستعير المسلمون أصحاب المنهج الربانى الأصيل الجامع ، من ركام الزيف وحصاد الهشيم ؟ لاريب فعند المسلمين المنابع الحقيقة للنفس البشرية والعطاء الكريم لمواجهة مختلف تحديات المجتمع البشرى المعاصر،ولقد ثبت فشل التبعية فى محاولة تركيا ومحاولة أندونسيا ومحاولة بعض البلاد العربية فى التبعية للمناهج الغربية ، وفى تركيا ظلت الثقافة الغربية قشرة على سطح المجتمع التركى الذى احتفظ بتراثه الإسلامى ولم يجد فى التجربة الغربية ما يحميه أو يقيمه ، وفشلت التجربة العلمانية الكمالية والقومية الاشتراكية الغربية ، وثبت أن الدعوة الإسلامية وحدها هى القادرة على العطاء الصحيح • فهل يفسح لها المجال لتكشف عن جوهرها ؟؟ إنها ما تزال محاصرة حتى الآن !!

فوارق عميقة بين المنهج الربانى والمنهج البشرى

إن هناك محاولة لاحتواء اليقظة الإسلامية ، فالتغريبيون يرون أن (العودة إلى الدين) ظاهرة خطيرة وأن ما حدث بعد نكسة ١٩٦٧ حركة مفاجئة لتقديراتهم لم يكونوا يحسبون حسابها ، ولم يستطيعوا فهم دلالاتها ، ذلك أنهم كانوا يظنون أن مراحل التغريب والاحتواء قد وصلت من خلال الليبرالية والماركسية ونفوذ المدارس الفكرية المادية والملحدة إلى مرحلة .. « الإجهاز » ، وقد ظنوا أن نكسة ١٩٦٧ هى بداية النهاية ، ولكنهم عجبوا حين شاهدوا الأمة الإسلامية وهى تنطلق من القمقم كالمارد ، وتلتمس الأصالة والعودة إلى المنابع ، وإحساسهم بالمفاجأة — على حد قول أحدهم — دليل على جهلهم بأمرين خطرين (أولا) مدى عمق الميراث الإسلامى فى النفس المسلمة (ثانياً) استجاشته عند لحظة الخطر كما حدث فى الأزمات الكبرى التى واجهت العالم الإسلامى فى المراحل الماضية. لقد ظنوا أن الآفتين الكبيرتين اللتين انطلقتا فى أفق الإسلام كالغمام الأسود : القومية الغربية والماركسية وما أتاحته لهم بعض الأنظم من فرصة للحركة سيقضيان على الإسلام ، فلما وجدوا أن الأصالة قد نادت رجالها وصفوا هذه الأصالة : بالرجعية والجمود والتخلف والتراثية والسلفية وجهلوا الفوارق العميقة فى تفسير المصطلحات ، والفروق العميقة بين التراث الإسلامى والغربى ، وبين اللغة العربية واللغة اللاتينية ، وبين السلطة الإسلامية التى هى انبعاث للقيم والسلطة الغربية التى هى انبعاث للأساطير والفلسفات الغنوصية .

ومن هنا جاء التغريبيون لمحاصرة التيار الإسلامى والمد الإسلامى والصحوة الإسلامية فى دعوة لاقتسام الأرض بين الماركسية والقومية والإسلامية ، وهى محاولة مضللة باطلة ، وهم يعلمون أن

التجربتين القومية والماركسية بل والليبرالية أيضا تلك التى أجريت فى بلاد العالم الإسلامى قد أثبتت عجزها عن العطاء الحقيقى ، وأن المفاهيم الإسلامية الربانية لا يمكن أن تدخل فى مبارزة مع أيدلوجيات الفكر البشرى التى عجـزت عن العطـاء لأممها والتى افتقرت إلى الإضافة والحذف مرة ومرة حتى تستطيع مواجهة متغيرات البيئـة والعصر .

ومن هنا فإن هناك محاولتين هما أشبه بالمؤامرة :

أولا : مساواة الفكر الإسلامى بالفكر البشرى ، والدعوة إلى المقارنة بينهما (مع تبين قصور النظرية القومية والنظرية الماركسية وانشطارية الفكر الغربى كله بقيامه على الفكر المـادى وتجـاهله تجاهلا تاما النظرة الإنسانية الإسلامية الأساسية الجامعة بين المادة والروح ، والعقل والقلب) .

ثانيا : الدعوة الباطلة المسبطة لإدخال ما يسمى ثقافات ما قبل الإسلام ، وهى ثقافات لم يثبت لها وجود حقيقى من قيم أو لغـة أو آداب ، وهى ليست إلا مجموعة من النصوص المستقاة من وثنيات بابل وآشور ، جمعت بأيدى بعض الدعاة فى سبيل سد الفراغ بعد ذهاب الكتب الأصيلة المنزلة .

وليكن معلوما أن الإسلام قد أحدث (انقطـاعا حضـاريا) كاملا وأن كل الدعاة الذين دعوا إلى الفرعونية والفينيقية والآشورية البابلية لم يجدوا تراثا ولا لغة ولا ثقافة ، فسقطت دعواهم ، وقد ترجم أصحاب الأديان صلواتهم إلى العربية بعد اختفاء اللغـات القبطية والسريانية .

إن الظن بأن العرب سيرفعون شعار العلمانية سـواء كانوا

ليبراليين أو ماركسيين ظن خاطىء ، وسوف لا يتحقق ، انطلاقا من شرعية الدساتير التى اعتبرت الشريعة الإسلامية مصدراً للقوانين ، والإسلام دين الدولة ، فليصرفوا أنفسهم عن هذا الأمل الخـادع ليعلموا أنه لا سـبيل إلى تلاقى التيارات القومية والماركسية مـع التيار الإسلامى إلا على أساس واحد : هو أن الإسلام عقيدة هذه الأمـة وملاذها ومنطلقها ومصـدر ثقافتها وهو الأعلى ، وهو قابل للانتماء العربى ولكن بمفهوم آخر غير منطلق نظرية القوميية الغربية الوافدة ، وهو قابل للعدل الاجتمـاعى ولكن بمفهوم مختلف عـن مفهوم الماركسية ، وهو متقبل لكثير من المفاهيم الإنسانية بشرط أن تصدر عن تكامل جامع بين العنصرين المادى والمعنـوى ، وإن كان ما فى هذه الأيدلوجيات موجود فى الإسلام فالإسلام يقدمه على نحو واسع الأفق ، مرن ، قادر على مواجهة التحديات ومصاحبة متغيرات الأمم والبيئات ، أما إذا لم يكن موجـودا فى الإسـلام فالمسلمون لاحاجة لهم به •

وعلى الذين يريدون من الإسلام (التبرير) لأخطاء المجتمعات والحضارة أن يقصروا ، فالإسـلام حاكم للمدنيات والمجتمعات ، وعلى المجتمعات والحضارة أن تعدل نفسها لتلتقى به ، وعلى الذين يصارعون الفكـرة الإسـلامية ويستعلون عليها ويسـخرون منها بالمصطلحات (التراثية والسلفية) وغيرها أن يعلموا أن هناك أفقا جديدا قد أشرق فى الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه المنقذ ويتحفظ فى النظرة إلى الأيدلوجيات وإلى الكتب القديمة بعد التجربة المريرة التى تمر بها المجتمعات الغربية اليوم فى مرحـلة الغربة والتمزق ، وتسـلط الغرائز والشهوات واندفاعات المخاوف من الحروب الذرية وسيطرة الأمم ذات الحضارات العريقة رغبة احتـوائها وصهرها فى بوتقـة الأممية العالية •

ولقد ترددت فى السنوات الأخيرة كلمة أزمـة العقـل العربى

وأزمة الثقافة العربية وهى أزمة معروفة لهـا طرفان ، طرف بين التغربيين (الذين يسمون أنفسهم المثقفين تحرزاً من وصفهم بالماركسى أو اليسارى أو الاشتراكى أو القومى) والأزمة عندهم تتركـز على هزيمة الفكر الإسلامى وتراثه ولغته وقيمه وتاريخه ، وسيطرة النموذج الغربى والأيدلوجية الغربية المادية العلمانية الإباحية ، أما الأزمـة بالنسبة لعالم الإسلام فهى تلك المطروحات المسمومة الملقاة فى أفق الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية التى يجرى المدافعة عنها عـن طريق القوى الثلاث : الصحافة والمسرح والبث الإذاعى والتعليم • ولقد جاء التناقض وجاءت الازدواجية نتيجة لفرض المناهج الغربية على العقل الإسلامى (ولا نقول العربى) والنفس الإنسانيية التى لها منهجها القرآنى الذى استقر فى أعماقها منذ خمسة عشر قرنا ، وحيث لا تجد القيم الإسلامية الفرص المتاحة للتعريف بحقائقها فى الصحافة أو التعليم أو أدوات الإعلام :

(أولا) : لا يوجد عقل عربى ولا ثقافة ، والعقل العربى عقل إسلامى أساسا حتى بين غير المسلمين ، والثقافة العربيـة انتماؤها إسلامى لأنه لما كان الإسـلام هو المصدر فإن الثقـافة إسـلامية والحضارة إسلامية والعقل إسلامى ومحاولة فصل نتاج العصر عن المراحل السابقة مؤامرة •

(ثانيا) الأساس فى بناء أى نظرية تربوية أو ثقافية أو اجتماعية هو الإنسان ، فما هو الإنسان فى نظر الإسلام : روح ومادة ووضعه فى الكون متخلف (إرادة — مسئولية — التزام أخلاقى) •

(ثالثا) : المنهج الإسلامى جاء لبناء الإسلام وحمايته على نحو يحول بينه وبين تحديات (الأزمة والجمود والاحتواء) وإعطاء علاج التحديات الثلاثة •

ولقد وقع العقل الإسلامى فى أزمة لأنه تخلى عن المصباح المضىء ، أما الفكر البشرى فقد عجز عن الأخذ بيد الإنسان فى كل أزماته ، بينما أرسى الإسلام له القواعد القادرة على الخروج من الأزمات ، والمسلمين لا يرفضون المعاصرة ولا يتشبثون بالتراث ، ولا يقبلون جانباً من المعاصرة وجانباً من التراث ، بل يقيمون المعاصرة والتراث على قاعدة الأساس : المنهج القرانى •

لا تسليم لما فرضته متغيرات العصر وأزماته ولا تبرير له ولا توقف عن الحركة فى الاتجاه الأصيل ، ونحن نعلم أن المسلم لا يقع فى دائرة الجمود إلا إذا ترك منطلقه القرآنى ، ولا يقع المسلم فى دائرة الاحتواء إلا إذا تجاوز الأساس الإسلامى إن المسلمين فى هذه المرحلة ليسوا فى حاجة إلى الفيلسوف ، ولكن إلى المصلح الذى يقارن بين النظريات ويكشف حقيقة الأمور فى ضوء تكامل المفهوم الإسلامى (العقلى والوجدانى) حيث لا فصل بين القيم العقلية والروحية ، وهذا الفصل الذى يدعو إليه العقلانيون اليوم هو أكبر خطيئة ، وهو الخطر الذى وقع فيه (ديكارت) وانساقت من ورائه حضارة الغرب • إن المسلمين يؤمنون بأمرين (١) تكامل العقل والقلب (٢) تكامل الفكرة والتطبيق •

إن علينا أن نواجه المؤامرات الخارجية ونكشف زيف سمومها ، وندعو إلى بلورة منهج إسلامى أصيل ، قرآنى المصدر ربانى الوجهة إنسانى الهدف •

أضواء منهج الإمام الغزالى بعد تسعمائه عام

كتب إلى الأستاذ الجليل الدكتور « زكى على » ـــ المهـاجر الإسلامى والمجاهد المقيم فى « جنيف » منذ خمسين عاما ـــ يذكرنا بموعد ذكرى عزيزة غالية على نفوسـنا جميعا وهى مرور تسعمائه عام على ميلاد الإمام أبى حامد الغزالى (المتوفى عام ٥٠٥ هجرية) وأعتقد أن أحق الناس بأن يحمل لواء هذه الذكرى هم رجال الدعوة الإسلامية الذين قدم لهم هذا الإمام الجليل زاداً طيبا وافراً مـن العطاء القادر على بناء النفس المسلمة وحمايتها من غوائل الأهواء ، ومايزال كتـابه (إحياء علوم الدين) زاداً طيبا وافراً لكل متعـلم ومؤمن ، فقد كتبه فى نفس الظروف التى يمر بها المجتمع الإسلامى هذه الأيام والمسلمون يواجهون طلائع الحملات الصليبية التى أخذت تقتحم المجتمع الإسلامى اقتحاما ، فلم يكن أمامه إلا دعوة المسلمين للعودة إلى المنابع والتماس الأصالة وإعـادة فهم علوم الدين فهما متجدداً أصـيلا مستمدا من القرآن والسـنة فى مواجهـة غوائل الفلسفات اليونانية التى بهـرت الكثيرين ، وأفسـدت عقـولهم ، ودفعتهم إلى دائرة الاحتواء .

يتميز الإمام الغزالى بأنه من أبرز مصححى المفاهيم ، وأنه هو الذى أوقف تيار الفلسفة اليونانية التى هى علم الأصنام مـن أن تستشرى فى الفكر الإسلامى ، ولقد واجه الإمام الغزالى عدداً من خصوم الإسلام كالباطنية والدهرية وفلاسفة الإلهيات وعلماء الكلام، وشجب مفاهيمهم جميعا وأعلن أن « أسـلوب القرآن » هو أعلى الأساليب وأبلغها وأدقها وأقربها إلى مختلف العقـول والنفوس ، وأنه أصدق من أسلوب المتكلمين وأنفع وأعـم وأشـمل للطبقـات والمستويات الفكرية المختلفة ، وأن علم الكلام علاج مؤقت نشأ فى

ظروف معينة للرد على شبهات وشكوك مثارة ، ولا حاجة للطبائع السليمة والعقول المستقيمة إليه ، أما (القرآن) فهو الغذاء الصالح والماء السائغ يحتاج إليهما كل إنسان وينتفع بهما ولا ضرر منه ولا خطر ، بينما كلام المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون ٠

وواجه الإمام الغزالى الفلسفة فأثبت حقها فى مجال العلوم : الطبيعية والرياضية وهاجم (الفلسفة الإلهية) وقال : إن أغلب هذه العلوم (الفلسفة الطبيعة والرياضية) أمور برهانية ، وأنه لا يخدم الإسلام إنكارها ، وليس فى الشرع تعرض لهذة العلوم بالنفى أو الإثبات ، ولا فى هذه العلوم تعرض للأمور الدينية أما الفلسفة الإلهية ففيها أكثر أخطائهم ، وقال : إنهم ما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه فى المنطق ، ويرجع ذلك إلى أن الإلهيات ليست كالعلوم الأخرى (الرياضية والطبيعية) وليس لها مقدمات ومحسوسات ومبادىء و (لهذا كثرت فيها أغلاطهم وتخيلاتهم) ٠ وقال إن خطر الفلسفة على أذهان الناشئة هو أن (يجدوا أصحابها مع رزانة عقولهم وغزارة علمهم منكرين للشرائع والنحل ، جاحدين لتفصيل الأديان والملل ، وقد ألحدوا وأنكروا الدين تظرفاً وتكايساً) ، ووجه إلى (تهافت عقيدة فلاسفة اليونان) وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالإلهيات ، وأن هذه المسائل ليست حقائق علمية :

وحصر الإمام الغزالى خلافه معهم فى ثلاث مسائل :

١ ــ قولهم بقدم العالم ٠

٢ ــ قولهم بأن الله سبحانه لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص ٠

٣ — إنكارهم بعث الأجساد وحشرها • وقال إن هذه المسائل الثلاث لاتلائم الإسلام بوجه •

ومن هنا فإن الحملة التى توجه إلى الإمام « الغــزالى » فى عصرنا هذا بأنه خصم للفلسفة والعلم دعوى باطلة وإنما هاجــم الغزالى (الفلسفة الإلهية الإغريقية الوثنية) التى لا تتفق مع عقيدة التوحيد ، وكشف عن أثر هذه الفلسفة فىنفوس من يتمسحون بها ليثيروا الشكوك والأوهــام حين ينكرون الأديــان والشرائع ، ولم يهاجم الإمام « الغزالى » إلا ما يصادم الشريعة من أفكارهم على نحو علمى بين فيه ضعف استدلالهم وتناقضهم واختلافهم وتهافت عقيدتهم • وقد استطاع الإمام « الغزالى » بقدرته الفكرية العريضة أن يستصفى الفكر الإسلامى من الدعوات المنحرفة التى اتصلت به عن طريق الشعوبية والباطنية فى محاولة لتغيير مفهــومه أو هــدم مقوماته ، فرد على كل هذه الفرق وكشف عن دسائسها وشــبهاتها الخفية الدفينة •

وكان مجمل دعوته التماس مفهوم الإسلام من القرآن باعتباره المصدر الأصيل الذى بدأت منه رحلة الفكر نفسه ، باعتبار أن منهجه وأسلوبه هو أصفى الأساليب وأقومها وأبسطها وأبعدها عن التعقيدات، فضلا عما له من (منطق) خاص يتصل بالفطرة والفروق ، وبذلك أعاد « الغزالى » صياغة الفكر الإسلامى من جديد • وقد اختــار الإمام « الغــزالى » منهج (التعليم والثقافة) بدلا من أســلوب (الجدل الكلامى) وناقش المسائل على أساس (العقــل المتــأدب بالشرع) وهكذا تخطى الإمام « الغزالى » منهج المتكلمين إلى منهج القرآن نفسه ، وفى هذين أعطى حركة اليقظة الإسلامية التى نعيشها

اليوم الضوء فى أن تسلك نفس الطريق : طريق التعليم والتربية ، وطريق القرآن .

ونحن الآن بعد تسعة قرون نواجه من جديد حملة مركزة على الإسلام أشد وأعتى من الحملة التى واجهها من خلال الفكر اليونانى والحروب الصليبية التى رفع منارتها « الغزالى » و « وابن تيمية » .

لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من كل جوانبه

إن الرائد لا يكذب أهله ، وإننا يجب أن نواجه أمتنا بالحقائق الصحيحة ، وأن ننصح لها من منطلق المسئولية الملقاة على عاتق أصحاب الأقلام ، والعهد الذى أخذه الله تبارك وتعالى على كل صاحب علم ، ومن منطلق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن نكشف لها أبعاد التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية ودينها ولغتها وقرآنها وتاريخها فى هذه المرحلة الدقيقة ، وأن نؤكد لها أولا وقبل كل شىء أنها على الحق المبين ، وأن كل مسلم على ثغرة من ثغور العقيدة والأمة ، وأننا يجب أن نوطن أنفسنا أن نكون فى رباط دائم ، فقد أعلن إمام هذه الأمة ونبيها وهاديها أنها فى رباط إلى يوم القيامة. وأن نثق بنصر الله القريب الذى تبدو أضواؤه واضحة من وراء هذه الغيوم ، وأن نؤمن بأن كل الأيدلوجيات والمناهج والدعوات والنظريات التى طرحتها مدرسة الفكر البشرى القائم على الهوى والمطامع واللذات والانحلال قد سقطت تماما ، وأن كثيرا من المسلمات التى عاشت موضع القداسه قرونا عدة قد نكشف أنها باطلة على النحو الذى أعلنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، يجعلونها قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا منها .

ومن هنا فنحن مطالبون بالوقوف فى وجه أعاصير الغزو التغريبى التى ماتزال تقذف أفق فكرنا الإسلامى بالسموم ، فتتصدى لمن يحاول النيل من الإسلام والحط من شأنه ، والذين يجرون وراء التأويلات والفلسفات والماحكات اللفظية بقصد الخروج من دائرة الفهم الأصيل المستمد من المنابع ، الذى لا يقبل أن يكون عامل تبرير للانحرافات الاجتماعية أو قبولها تحت أى اسم من أسماء الرخص

أو الظروف ، ولابد من التشبث بالقرآن الكـريم والسنة المطهـرة واعتباره المنار والمصدر والمورد لكل منطلقات الفكر والثقافة والأدب وعلوم الاجتماع والنفس والسياسة والأخلاق والتربية ، وقيـام المناهج العلمية التى تؤسلم كل القيم وتصهرها فى بوتقة المنظومة الإسلامية ، إيمانا بأن هذا هو المنطق الوحيد لبناء المجتمع الربانى ، وتعديل التشريعات وبرامج التعليم بما يتفق مع القـرآن الكريم ومبادىء الإسلام السمحة ، والاهتمام بالإعلام الإسلامى ودعمه ، والكشف عن حق الشعب الفلسطينى فى تحرير أرضه من الاحتـلال الصهيونى ، وأن الخطـر الصهيونى موجه إلى كـل المسلمين دون استثناء وتوعية الجماهير المسلمة بالخطر المحدق بالعالم الإسلامى من التوسع الصهيونى التلمودى ، وعلى ضرورة مواجهة هذا الخطر بالجهاد دفاعا عن النفس والأرض والعقيدة .

ولنعلم أن جميع الأزمات التى يواجهها العالم الإسلامى اليوم ، سواء فى مجال الاقتصاد والاضطرابات والقروض مصدرها سيطرة الاقتصاد الربوى ، وفى مجال الاجتماع فإن جميع القضايا المطروحة على الساحة اليوم من تعاطى المخدرات وعدم الأمانة فى التجـارة والرشوة والتغالى فى المهور ونقص أماكن الإيواء لطـالبى الزواج واغتصاب الفتيات والجشع فى الحصول على الأرزاق والإنفاق المسرف الفاسد ، كل هذه وأولئك لا يمكن أن تحل إلا عن طريق تطبيق المنهج الإسلامى الذى يقوم على التوقى من وقوع الجريمـة والردع ، فالشريعة الإسلامية تعلم أهلها أن يطهـروا موارد مكاسـبهم وأن يحسنوا إنفاقهم ، بعيداً عن الإسراف والترف الزائد وذلك حـين تحميهم من مسارب الخمر والربا والتحلل الاجتمـاعى والفسـاد الإباحى .

إننا مطالبون بالصمود أمام قوى الباطل ، جيـلا بعد جيـل

وصفا بعد صف وإلا فنحن من الذين تولوا يوم الزحف ، وإن المسلم الذى باع نفسه وماله لله يجب أن يكون قادراً على الصمود ، وعلى تصحيح المجتمع ، بالاشتراك فيه لا بالعزلة عنه ، وبتحرير قيمه ، وبإقامة القدوة القادرة على التغيير ، ونحن نعلم أن القوى التى تحمل لواء الباطل مسلحة وقوية ومعها أدوات الإعلام والنفوذ ولكن الكلمة الربانية الخالصة أقوى من كل مدافع الدنيا جميعا ، وأن الانحياز إلى جانب الله والاعتماد عليه والدفاع عن كلمته يحقق أحد أمرين : الأمر الأول الفوز بمكانة الشهداء ، الثانى انكسار الموجة قليلا حتى تتكشف الغمة ويصدق فى هذا قول الداعيه الصادق المؤمن :

« إن أمانة الرسالة تفرض على المسلمين أن يكونوا دوما على استعداد للمعركة فإن عدوهم يفرض عليهم المعركة فرضا فعلى كل منهم أن يعتبر نفسه على ثغرة من ثغور الإسلام فلا تؤتين من قبله ، أما القاعدون من المسلمين الذين يظنون أنهم بأخلاقهم وصلاتهم وصيامهم يؤدون واجبهم تجاه هذه المعركة المصيرية فليعلموا أنه لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه وأنه لن ينتصر آخر هذه الأمة إلا بما انتصر به أولها أى بالإيمان والجهاد والتضحية والثبات » .

« وإن معركتنا مع أهل الباطل ليست معركة قومية أو وطنية أو اشتراكية ، كما تصورها البعض لكى يفقد المسلمون القوة المادية والمعنوية ولكن معركتنا إسلامية مصيرية أن يكون الإسلام أولا يكون » .

« إن الإسلام دين قوة وعزة ويفرض على أهله أن يقيموا مجتمعه فى أرض الله وأن يجاهدوا فى سبيل ذلك » .

احـــذروا بدائل الإســـلام

تجرى المحاولات التغريبية لوضع بدائل الإســـلام فى منطلق التيار الفكرى المتدفق اليوم تحت اسم الثقافة العربية أو الفكـــر العربى أو الأدب العربى ، وكلها مسميات تقصد قصداً إلى هجـــر الانتساب الإسلامى ليكون لها القدرة على الانحراف نحو المفاهيم الغربية ، تهدف هذه البدائل إلى :

أولا : تغيير طوابع الإسلام فى الأدب والثقافة والفكر وتغيير المقاييس •

ثانيا : إضفاء طابع التشاؤم واليأس والكراهية للفكر الإسلامى الأصيل •

ثالثا : خلق روح الانشطارية والاستعلاء بأحـــد العنـــاصر كالأدب أو الاجتماع أو الاقتصاد منفصلا عن تكامل الإسلام الحقيقى الجـــامع •

رابعا : فرض النموذج الغربى على المجتمعات •

خامسا : محاولة القضاء على روح الثقة والإيمان بالمنهج •

سادسا : إدخال مصطلحات غربية على المفـــاهيم الإســـلامية كبدائل مثل تصوير الشورى الإسلامية بأنها الديمقراطية والعـــدل الاجتماعى بأنه الاشتراكية •

سابعا : محاولة رد الأقطار العربية الإسلامية إلى ماضيها السابق للإسلام وإعلاء تاريخها الوثنى القديم كالفرعونيه والفينيقية وغيرها •

ثامنا :محـــاولة فرض أســلوب العيش الغربى على الأمـــة الإسلامية •

تاسعا : تفريغ المسلمين من الداخل من قيمهم القرآنية وثقافتهم وتراثهم حتى يصبح من السهل عليهم أن يقبلوا أى فكرة وافدة •

عاشرا : إشاعة أسلوب غير إسلامى فى الحوار والجدل والمسلسلات يحجب مفاهيم الإسلام وآدابه وروحه •

وفى هذه المحاولات المطروحة لما يسمونه صياغة مشروع عربى حضارى لمواجهة تحديات العصر تغيب عن الساحة أول قاعدة لأى مشروع وهى الأصالة الإسلامية التى ينسف غيـــابها أى مشروع ثقافى أو حضارى ، وهم يحاولون الادعـــاء بأنه لكى يعبر العـــرب الفجوة من التخلف إلى التقدم يجب عليهم أن يأخذوا بالأنمـــوذج الغربى ويسوقون ذلك مغلفاً بكلمات عربية خداعا وتضليلا • بينما المنهج الحقيقى للخروج من التخلف هو شىء واحـــد لا سبيل إلى التماس غيره ، هو : تطبيق المنهج الإســـلامى على مختلف نواحى الحياة واعتماد التفسير الإسلامى فى فهم الطبيعة والحياة والمجتمع والحضارة وليس هناك سبيل غيره ، بعد أن مررنا بالتجربة الواسعة من خلال الاحتواء الغربى والماركسى جميعا فى عديد من النماذج التى شهدها العالم الإســـلامى وخرج منها خائفا يترقب ، بل إن هـــذه الدعوة المسمومة التى تدعو إلى إحياء الثقـــافات القديمة الســـابقة للإسلام ، والتى انهارت تماما وماتت لغاتها ، هى محاولة مضـــللة زائفة ، كذلك فإنه ليس من المعقول أن يجرى الحوار بين منهج القرآن ومناهج البشر الزائفة التى أثبتت بعد أكثر من أربعة قرون عجزها عن العطاء فى بيئاتها • وإنما يريد هؤلاء التغريبيون أن يوجدوا لهم منفذاً بعد أن لفظتهم الأمة ، واجتاجتهم الصحوة الإسلامية بمفاهيمها الأصيلة والاستجابة الضخمة لها وانصراف الأنصار عنهم وحدوث

هذه الانتصارات الضخمة بدخول عدد من كبار علماء الغرب وأساطير الفكر الغربى فى الإسلام وليعرف هؤلاء أنه لا توجد فى أفق هـذا العمل إلا قضية واحدة هى قضية : المسلمون ومنهج الله ، فتخلفهم مرتبط به ، وانتصارهم مرتبط به ، فإذا عادوا إليه عاد إليهم النصر والتمكين فى الأرض ، وما كل هذه المحاولات من دعـوة إلى كتـابة التاريخ أو تجديد التراث على مفهوم الماركسية (الجدلية التاريخية) أو مفهوم الغرب (الجبرية المنطقية) ما هى إلا محـاولات تبـديد طاقة هذه الأمة وتحويل وجهتها الجادة نحو الأصالة والمنابع ، إلى التيه الذى لا تعود منه •

إن محاولة جعل محور الفكـر والثقافة فى بلادنا هو الأرض محاولة باطلة ، وإعلاء شـأن مصر أو سـوريا أو العراق أو غيرها لا يحقق إلا الفرقة ، وإقامة أسوار الانفصال ، وإنه لا يجمع هـذه الأمة إلا الإسلام وحده ، وما يحاول أمثال (أنور عبد الملك وغيره) تصويره من دور لمصر ، هو من الإسلام وإلى الإسلام ، فإن هـذا العطاء الذى يتميز به تاريخ مصر أو الشام أو المغرب أو الأندلس ما هو فى الحقيقة إلا ذلك النور المبين الذى اقتحم العقول والقلوب فأشرق فيها ضياء الإسلام فصنعت تلك الحضارة : حضارة التوحيد التى أزهقت روح الوثنية والتعدد والاستعلاء بالجنس والرهبانية وغيرها ، وفتحت أمام البشرية طريق الإنسانية المتصـلة بربها ، المتوهجة لانشاء مجتمعه والمسلمة وجهها إليه ، ليس هناك شىء فى الجاهلية مقبول فى الإسلام إلا من تراث الحنيفية السمحاء ، تراث دين الله ، وليس شىء فى الإسلام ، سواء فى مصر أو الشام أو العراق أو الهند أو تركيا أو فارس أو أرخبيل الملايو إلا هو عطاء الإسلام الحقيقى الوافر الخـالد ، لقد أعطى الإسـلام قانونا لا يتخلف : هو قانون الأنبعاث من الداخل فحيثما ظهرت الأزمة وتجهمت الأمور واقتحمت قوى الغزو بلاد المسلمين يندفع الإسلام ليقـدم قدراته

القوية على العودة إلى المنابع والتماس طريق الله ، فسرعان ما تنهزم قوى الباطل ويعود المسلمون إلى امتلاك إراداتهم وبناء مجتمعهم ونشر كلمة الله فى العالمين .

ونحن الآن على مفترق الطرق : إما إلى مزيد من التيه الذى يخدعنابه التغريبيون ، وإما إلى طريق الله الحق القادر على تحقيق النصر : طريق القرآن ، حيث يتحقق قانون الانبعاث من الداخل .

نحن أساتذة الغرب ولن نكون تلاميذه

لقد نكتشف الحقائق التى تضع الأمور فى نصابها بالنسبة لدورنا التاريخى الذى قمنا به فى بناء المنهج العلمى التجريبى والحضارى العالمى ، وقد أدينا دورنا خلال ألف سنة كاملة ، والمستقبل للإسلام ، وسوف نعود كرة أخرى إلى امتلاك إرادتنا والقيام بدورنا العالمى ، ولا بد أن نثق بذلك بالرغم من الغيوم الكثيفة التى تحجب الشمس ، ولا بد أن ندرك سنة الله فى الوجود والأمم والحضارات ، وأن نفهم طبيعة العصر وكيفية إحداث التغيير ونبدأ من القاعدة : من بناء الفرد إلى بناء الأسرة وصولا إلى بناء المجتمع • تربية الأمة أولا على الإيمان بالله ، وإسلام الوجه له تبارك وتعالى ، ومنه تنطلق إلى مختلف غاياتها وفى مقدمتها التخلص من الازدواجية فى الفكر واللغة وتصحيح المفاهيم وكشف أخطاء التغريب والغزو الثقافى وتقويم الانحراف ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعادة فريضة الجهاد إلى مكانها الصحيح من الإسلام ، والإيمان بأن الحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن جهاد النفس لم يثبت ، وهو المنطلق الذى تريد أن تنطلق منه القاديانية والبهائية ، ولا بد من صناعة القدوة المؤثرة فى مجال الأبوة والأمومة والمعلمين والربط بين المنهج والتطبيق والارتباط بين الفكر النظرى والممارسات السلوكية ، والحيلولة دون زرع اليأس فى النفس المسلمة المفطورة أساسا على التفاؤل والثقه بالله •

ويجب أن نعلم أن « القرآن الكريم » هو منهجنا الأصيل الذى يقدم الأسس العامة لمنطلقات الحياة والعمل والسعى والعمران ، وهو الذى يقدم الأسس العامة للتقدم على أساس تحرير الإنسان من

الخوف ، وقيام العقل فى أحضان الوحى والإخاء الإنسانى ، وقيام التقدم روحيـا وماديا ، وقيـام الأصـالة والتجدد ، وارتبـاط الثوابت والمتغيرات والعقل والقلب ذلك أن مؤهلات القيادة العالمية تقوم على الاعتراف بالبعد الربانى للمجتمع والحضـارة ، والتسليم للسيد الأكبر ، وتوجيه الحضارة والمجتمع الوجهة الربانية القائمـة على الإيمان بالله وأخلاقية الحياة •

ولنعلم أن الحضارة منذ خمسمائة عام وهى تجرى فى محيطات المعاداة لقوانين الله تبارك وتعالى : (الإباحية الإسراف ــ التحلل) ولقد تكشفت الحقائق للناس فى الغرب ، وعرفوا فشـل الليبراليـة والماركسية جميعا ، وهم الآن يطالبون بمنهج جديد ، ولقد أعطيت التجربة المادية أكبر قدر من الفرصة ، ومن إملاء الله تبارك وتعالى لها ليكتشف الناس زيفها ، ويقف العالم اليوم على أبواب « اليأس » الذى يسلطه الله على الظالمين ، لا مفر ولا مخرج إلا بالتضرع إلى الله والتماس رضاه بتطبيق منهجه (إذاجاء هم بأسنا تضرعوا) فالبشرية الآن تطلب منهجا جديدا ووجهة جديدة وربانا جديداً لسفينتها ليتجه بها إلى شاطىء النجـاة •

ولا ريب أن كل الدلائل تشير إلى أن الإسلام قادم لا محالة نظراً لإفلاس وعجـز الفلسـفات الوضعية ، ابتـداء بالرأسمالية الليبرالية وانتهاء بالشيوعية المـادية ودليل ذلك أن العـالم بـدا يحسب ألف حساب للأمة الإسلامية ، وباعتبار أن الإسلام بإمكاناته الروحية والفكرية هو أهم القوى الجوهرية فى العالم •

وبالرغم من علامات التعويم المتعمد فإن الأمـة الإسـلامية ستعود إلى سابق مجدها ، إذا هى أحسنت التماسها لمنهج الله تبارك وتعالى ، وحطمت القيود التى تكبل خطوها •

إن نقطة الانطلاق هى تصحيح الهوية والعرف والفهم ، وإعادة المسلمين إلى الأصالة والمنابع عن طريق التعليم والتربية والثقافة ، وعلينا أن نتحرر من محاذير العودة إلى إحياء تراث الفرق القدمية تحت ستار دراسة الفكر الإسلامى فإن مصطلحات المعتزلة والأشاعرة وغيرهم قد عفى عليها الزمن ولا يفهمها الجيل المعاصر ، كذلك مصطلحات الفلاسفة والتصوف الفلسفى فكلها لم تعد لها وجود فى مجتمع لم يشهد تلك الخلافات ، ولنذكر أن رجلا سأل « مالكا » فقال : من أهل السنة يا أبا عبد الله ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به ، لاجهمى رافضى ولا قدرى .

فالمسلمون الآن يتجهون إلى مفهوم السنة الجامع ، ويتحررون من شبهات المناهج الوافدة التى تريد أن تغرقهم ، ولنا دعوة إلى إصلاح الدنيا وإقامتها على حدود الله ، وليس إلى ترك الدنيا والزهد فيها والانسحاب منها ولا إلى الإسراف فى الاستسلام للمغريات التى تحطم الشخصية الإنسانية ، وليس فى مفهوم الإسلام : (لا خوفا من نارك ولا رغبة فى جنتك) ولنعلم أن للمصطلحات مفهوماً مختلفاً من الفكر الإسلامى والفكر الغربى : وخاصة مفهوم السلفية والتقدم والعصرية والمعاصرة .

وقد دعا الإسلام إلى تكوين الوجدان الإسلامى الذى يحول دون وقوع الجريمة والتخلق بالأخلاق الإسلامية والتأدب بأدب الإسلام وجعل ذلك فرضاً واجباً وطريقة الإسلام فى مكافحة الجريمة هى منعها قبل أن تقع بمحاصرتها فى زوايا النفس ومجال الضمير ، وقبل آن تصل إلى مجال اختصاص الشريعة (على حد تعبير الدكتور حسان حتحوت) .

وقد أشار « السيد جمال الدين الأفغانى » إلى عبقرية حضارة

الإسلام فقال إنها تتميز عن غيرها من الحضارات بالوسطية التى وازنت بين ما يحسبه الآخرون فى الحضارات الأخرى متناقضات لا سبيل إلى تعايشها ، فضلا عن التأليف بينها فى منظومة فكرية وحضارية وسلوكية واحدة ، الموازنة بين العقل والنقل ، بين الغيب والشهادة ، بين الحكمة والشريعة ، بين الدين والدنيا ، بين الدنيا والآخره ، بين الفرد والجماعة ، بين المادية والإيمان ، بين الشك واليقين ، بين السلم والحرب ، بين السيف والقلم ٠

وهناك حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وهى أن الإسلام جاوز مرحلة التبعية ودخل الرشد الفكرى ، وأن التحديث المادى والتقنى ممكن للعالم الإسلامى دون أن يفنى المسلمون فى الحضارة المادية أو الفلسفات الإباحية وأن الإسلام اليوم يقتحم كل قارات العالم اقتحاما سلميا ، وأن الغرب نفسه أصبح يعتقد أنه لا طريق للبشرية إلا طريق الإسلام ٠

ولقد جعل الله تبارك وتعالى المسلمين أمة وسطى ، وأعطاها ثروات وذخائر ضخمة ، ودعاها إلى المقاومة والمواجهة والمرابطة فى الثغور لإعداد القوة لإرهاب أعداء الله وحماية دينها وثروتها وأن تبقى دائما على تعبئة حتى لا يفاجئها عدوها بالإغارة عليها ، وأن تتحرر من احتلال أرض الإسراء ٠

والعالم الإسلامى مؤهل اليوم لأن يصبح قوة عالمية فعالة قادرة على أن تتحكم فى التوازن الدولى ، وأن ما يردده البعض فى الغرب من أن العالم الإسلامى لم يبرز كقوة سياسية إلا بسبب البترول هو تصور غير حقيقى ٠

إن علينا مهمة تحصين المسلمين ضد التيارات الهدامة ، وكشف أساليب الملحدين والتغريبيين والكشف عن زيف الفئات الضالة وفضح

مخططاتها وأفكارها ومؤامراتها ضد المسلمين ، ولنعلم أن أخطـر ما نواجه هو أن نعيش بعواطفنـا وبعقول غيرنا ، فنحـن نمارس حياتنا كما يريد أعداء الإسلام ، ولا بد من العودة إلى المنابع بأسلمة التعليم ، وترشيد أدوات التسلية والترفيه ، وإحياء روح • الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتطبيق الشريعة وبناء المجتمع الربانى ونقطة البدء هى الإيمان بالله ، واعتماد القـرآن منهجا ، والـولاء لزعامة الرسول — ﷺ — وتقدير الثوابت والمتغيرات والتحرك داخل دائرة ما أحل الله تبارك وتعالى ، والإيمان بوحدة البشرية ، ووحدة الدين ، وشراء الله وبيع النفس •

إلى أى مـــدى كان أثر الإســـلام عميقا فى الفكـــر الأوربى المسيحى منذ مطالع النهضة ؟

إن هذا السؤال قد أجابت عليه فى العقود الماضية من القـــرن التاسع عشر الميلادى وهذا القرن إجـــابات مختلفة ، ولكنهـــا فى مجموعها لا تستطيع أن تعطى الحقيقة التى كانت تتخفى وراء كلمات عابرة ، دون أن تكشف تماما عن الواقع الصحيح . والذى كان بارزا وواضحا — إلى حد ما — هو أن جماعة الصليبيين الذين جاءوا مع الحملات الصليبية ، وعادوا إلى أوربا بعد هزيمة الحملات ، قد حملوا معهم حقيقة مزعجة للكنيسة وأهل الغرب ، وهى عدالة « صـــلاح الدين » والمسلمين وتفوقهم العلمى .

وقد حاربت الكنيسة هذه المحاولة حربا شديدة ، وقد تبدى لها أن تتحول من حرب السيف مع المسلمين إلى حرب الكلمة على النحو الذى دعا إليه « لويس » التاسع ، والذى بدأت بعده مباشرة ترجمة القرآن والبحث عن النقـــاط التى يمكن عن طريقها إثارة الشـــكوك حول : الإسلام والقرآن .

غير أنه بقيت هناك قضية أخرى هى قضية محاكم التفتيش والحرب التى شنتها أوربا على العلوم ، وما حدث « لجاليلو » وغيره بقيت هذه القضية فى نظر الباحثين منفصلة شيئا ما حتى تبدت اليوم مجموعة من الحقائق تجعلنا نسلك هذا التطور أيضا فى نفس الخط السابق ، وأن نعلن بغير تحفظ أن حرب محاكم التفتيش كانت موجهة أساسا إلى العلم الإسلامى الذى أخذت به أوربا وخاصة ما يتعلق بالمنهج العلمى التجريبى ، والذى كان سببا للانفصال الشديد بين

العلم والكنيسة (لا بين العلم والدين والذى أفضى إلى العلمانية على النحو الذى عرفته أوربا ، وخصومة العلم الشديدة للاهوت المسيحى جملة ، والخروج من ذلك كله إلى الفلسفة المادية الخالصة التى أنكرت الدين .

وقد تبين — وهذا الرأى غريب فى ظاهره ، ولكن عند تبين الدلائل يتأكد — أن محاكم التفتيش قد قامت فعلا لقتل العلماء الذين تعلموا فى مدارس المسلمين ، فقد ظهرت طائفة الرهبان الذين عرفوا خطر الإسلام على دينهم وعلى المجتمع الأوربى وبدأوا المقاومة بإثارة الشكوك ومن هنا نجد أن القضية واحدة ، وأن أحد شقيهاهم الصليبيون الذين عادوا إلى أوربا يلهجون بسماحة الإسلام ، والشق الآخر هو العلوم الإسلامية التى فتحت أمام علماء أوربا حقائق جديدة مخالفة لما جاء فى الكتاب المقدس وأهمها (دوران الأرض) وهو ما يتعارض تماما مع ما جاء فى مفاهيم الكنيسة عن (مركزية الأرض ومركزية الشمس) حيث نبتت نظريات «بطليموس» إلى جملة آراء لم يسمح الآباء المسحيون بمناقشتها أو التشكيك فى صحتها ، وقد كانت نظرة رجال الدين إلى أجرام السماء مختلفة ، ولكن العلم أبطلها جميعا فقد قيل « إنها كائنات حية » ، وقيل إنها موطن الملائكة ، وقالوا إن السماء قبة صلبة تحيط بالأرض وأن الاجسام السماوية مصابيح معلقة فى السماء » .

ولقد انتصر الطريق الذى استعصم بالإسلام فى مجالات عدة :

أولا : فى التحول من الرهبانية إلى النزعة العلمية الخالصة وسقوط النظريات اليونانية القديمة القائمة على التأمل .

ثانيا : فى إلغاء الصور والأيقونات وغيرها الموجوده فى الكنائس .

ثالثـــا : فى العمل على تفسير الكتاب المقدس بدون التقيد بما فرضته الكنيسة من صكوك الغفران أو غيرها من الدعوات •

ولكن هذا الطريق الإسلامى إلى العلم ، الذى اعتمد المنهـــج التجريبى الإسلامى الذى غير وجه الحياة فى الغرب تغييرا شديدا وأدخله مرحـــلة جديدة مختلفة عبر مرحلتين : الوثنيـــة اليونانيـــة الرومانية ، ومرحلة التفسير المسيحى القـــائم على الصلب والتثليث والخطيئة ، هذا الاتجاه لم يسلم لما رسم الإسلام ، ولكن سيطرت عليه القوى التى جاءت من بعد والتى أطلق عليها اســـم (التنوير اليهودى) والتى أخرجته من الفلسفة المدرسية المسيحية التى كانت تعتمد على المثالية إلى الفلسفة المادية ، والانحراف نحـــو مذاهب اللذات والإباحة والشـــهوات التى فرضتها نظـــريات (ماركسى) و (فرويد) و (دوركايم) (المدرسة الاجتماعية الفرنسية) •

وبذلك خرج الغرب عن منطلق الإسلام فى العلم تحت تأثيرات شديدة عنصرية مستعلية بأن الغرب هو صانع الحضـــارة ، وأنه العنصر الأبيض الذى لا يهزم ، والذى تنكر تماما لدور الإســـلام وتجاهله ، ووقف أمامه موقف (مؤامرة الصمت) حيث نشأت فكرة العداء الخطير ، وبرزت دعوى أن الإســـلام سيطر على مساحات شاسعة كانت تحت حكم الغرب والرومان ، وأن الغرب لا بـــد أن يثأر لذلك وأن يستعيد هذه الأرض ، وهى الصيحة التى بدأت بها حملة الاستعمار الغربى والتى بدأت منها معارك الحروب الصليبية التى ظلت تزحف فى القتال على العالم الإســـلامى مدى قرنين من الزمان لا تتوقف ، حتى هزمت تماما ودمرت قوتها • ومن هذا المنطلق بدأت معركة الاستعمار الحديث ثم الغزوة الصهيونية وهى جميعها تحمل الأحقاد الشديدة إزاء الإسلام من ناحيتين : من ناحية زحفه السلمى الواسع الذى تدهش له الكنيسة ، والذى أصبح يكســـب

الآن أقطابا من الفكر الغربى ، ومن ناحية هدفها إدامة السيطرة على مقدرات البلاد الإسلامية الزاخرة ، وذلك عن احتواء هذه الأمة فكريا وثقافيا وعقائديا حتى يمكن صهر هذه الأمة فى بوتقة الحضارة الغربية العالمية أو الأممية ، ويقوم على ذلك اليوم ثلاث قوى : هى الصهيونية والغرب والشيوعية ، وكل منها لها أهدافها من وراء استشراقها الذى يبث السموم من خلال المناهج التعليمية والثقافية ، وعن طريق وسائل التسلية والإعلام ، وعن طريق الصحافة والمسرح .

وقد تنبه المسلمون لهذه المؤامرة الخطيرة : مؤامرة الحصار والاحتواء ، وتأخير الأمة الإسلامية عن امتلاك إرادتها والقيام بدورها الحقيقى فى تقديم الإسلام إلى البشرية ، وإنقاذ العالم من أزمة الحضارة التى هى أزمة الإنسان الممزق نفسيا والمغرب والمدمر تحضنه القذائف النووية التى يمكن أن تدمره فى أى لحظة .

ولما كانت حركة المقاومة لحملة الاحتواء العالمية التى تحاصر العالم الإسلامى اليوم لابد أن تبدأ من الداخل ، فإنها لابد أن تبدأ بالعودة إلى المنابع والتماس الأصالة وإقامة منهج الله ، بالتربية الإسلامية الحقة ، وتكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة وهذا هو المنطلق الحقيقى للصحوة الإسلامية التى تجرى مؤامرات كثيرة لإجهاضها أو الحيلولة بينها دون الوصول إلى غايتها الحقيقية .

ونحن نرى اليوم مؤشرات كثيرة تدل على أن الصحوة ماضية فى طريق الأصالة فى مقدمتها أسلمة المناهج ، وظهور العلوم الإسلامية فى الاجتماع والاقتصاد والأخلاق والنفس ، وظهور مدرسة الأدب الإسلامى ولا بد من المقاومة المستمرة ، والمواجهة المستمرة لهذه المطروحات المسمومة التى تلقى يوميا فى أفق فكرنا الإسلامى لتزييف وجهته أو إفساد غايته .

لــن تعــود تجربة القوميــة

الــرد على محمــد حســنين هيكــل

إن الفكرة القومية التى يدافع عنها العلمانيون تهدف الى التمويه على الخط الإسلامى الواضح الآن • لقد عجزت الفكرة القومية وفى يدها السلطان الحاكم سنوات طويلة عن أن تحقق شــيئا ، فكيف تستطيع الآن وهى منبوذة ، مرذولة فاشلة ؟ إنها لن تقوم لها قائمة إن الذين يتحدثون باسمها هم الذين يصرون على موقف عــرفوا به وعرف بهم ، فهم لا يستطيعون أن يتراجعوا عنه ، وإذا تراجعوا عنه فإلى أين وقد عاشوا حياتهم كلها دعاة له حــين كان مرتبطــا بالدكتاتورية والاستبداد والتصفيات الجسدية ؟

إن الرابطــة العربية لن تكون علمانية ، كما كانوا يدعــون أو يرسمون لها ، لقد حطمت هذه القيود ورأت أن طريقها يبدأ مــن القوة الإسلامية الجامعة ولا ينفصل عنها ، إنها لن تستطيع أن تحقق وجودها منعزله عن الوجود الإسلامى الواســع ، ولا عن المفهوم الإسلامى الأصيل • إن هناك من يريد أن يبقى هذا الصوت النكود يتردد ليموه على الوثبة الصحيحة ، ولذلك فهو يغذون مفهوم الأمــة العربية المنفصلة عن الأمة الإسلامية بمفاهيم الإسلام لا بمفاهيم العلمانية ، ولا فى ظل الدعاوى التى تستمد رموزها : من شــعارات الثورة الفرنسية •

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن الخطر الدينى وهم يعنون الصحوة الإسلامية يريدون أن تظل أكاذيبهم وتفسيراتهم الخادعة ـــ التى صدرها لهم « ساطع الحوى » و « مشيل عفلق » ممتدة ، وقد علموا

أن كل باطل لا بد أن ينكشف ، وأن كل ضلال لابد أن يزهق ، إنهم يتحدثون عن الصحوة الإسلامية وكأنها خطر شديد يرد الأمة إلى الرجعية ، ولم يعلموا أن أضاليلهم فى الحديث عن القوميــة حولت الناس عن طريقهم الحق ، وخدعتهم بمفهوم وافد مضلل ، ورأوا أن الخطر فى أن تعود الأمة إلى الأصالة وأن تسـقط مفهوم القوميـة الوافد المضلل وأن تعود إلى مفهوم العلاقة الحقيقية بين العروبة والإسلام ، باعتبار العروبة نتاج الإسلام ، وعطاءه فما كان للعرب وجود قبل الإسلام ، ثم إنه الإسلام الذى أدخـلهم إلى المجـال العالمى وفتح لهم الآفاق .

إن هذا الدين الذى يتحدثون عنه ويفرقون من التجاء الناس إليه اليوم ، ليس هو إلا الإسلام الجامع بين الدين ومنهج الحياة ، وبين العقيدة ونظام المجتمع ، وليعلم إخواننا هؤلاء أن هذه المفاهيم التى بدأت فى الإرساليات التبشيرية لتصنع مفهوما وافداً للقوميــة يسقطون به الخلافة ، ويعتمون به إسرائيل وينشـئون صراعا بين الطورانية والعروبة للقضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة ، هـذا المفهوم الوافد الذى يتحدثون عنه ، وهذه الكراهية المقيته منهـج للإمبراطورية العثمانية ، كل ذلك قد كشفت الوقائع الصحيحة وجه الحق فيه ، وزالت الغشاوة التى وضعت على العيون سنوات .. نعم إن العروبة الآن تدخل فى بحر الإسلام الواسع ، وليس بحر الدين بمفهوم الغرب لأن قضية فلسطين هى قضية الإسلام والمسلمين ، وليست قضية العرب ، والعجيب أن هؤلاء يقبلون بمفهوم : إسرائيل دين وقومية ، ولا يقبلون بمفهوم : الإسلام جنسية للمسلمين جميعا ، لقد حاصر التغريب مفهوم الإسلام الصحيح فحجبه عن طريق دعاة القومية بينما أتيح لهم أن يعبروا عن أنفسهم بحرية ، إنهم يدعوننا إلى الفصل بين الدين والدولة بينما هـم يرون أنهما بمثابة شىء واحـد .

ألا فليوقن •• هؤلاء أن التجربة قد فشلت ، وأنها لن تعود ، لأن الزمن لا يرجع القهقرى ، وأنه لابد من أسلوب جديد لمفهوم جديد حتى يمكن الخروج من الحلقات المغلقة جميعا ، وأن مفهوم الإسلام اليوم هو القادر على هذا العطاء •

إن كان هناك جيل كامل يبحث عن الدواء فى الدين ، على حد تعبير « محمد حسنين هيكل » — الذى هو الإسلام — فإن ذلك إنما جاء نتيجة الفشل واليأس الذى صدم النفوس خلال ثلاثين عاما من مفاهيم وافدة مضللة تحاول أن تحجب الطريق الصحيح ، وتدفع بالإمة الإسلامية كلها إلى التيه •• لقد جاءت قوميتهم بالهزيمة والنكبة والنكسة ، وقدمت للعرب والمسلمين الخدعة على أنها النصيحة ، ولما كان الرائد لا يكذب أهله ، وقد كذبوا على أهلهم ، فإنهم قد فقدوا ثقة الناس فيهم لكذبهم وخداعهم وتضليلهم مهما أفسحت لهم الصحف أعمدة ، أو أقيمت لهم مؤتمرات ، أو ارتفعت لهم صيحات من أسماء لمعت فى ظلام الماضى وحان لها أن تنطفىء •

إن الهوية التى عرفها العرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية كانت هوية مدخولة لأنها فرغت من ترابط الإسلام بالعروبة وقد قدمت لهم عن طريق مفهوم الغرب بعلمانيية ومادية وتجربته المختلفة تماما ، فليس هناك وجه شبه بين علاقة الكنيسة الكاثوليكة والغرب ، وبين الإسلام والعروبة إنها هوية باطلة لأنها فقدت أهم مقوماتها وهو الإسلام منهجا ، والأخوة الإسلامية طريقا يربط بين العرب والأمة الإسلامية من ترك وفرس وهنود •

إن الثقافة المشتركة الحقيقية ليست هى الثقافة العربية ولكنها القرآنية والسنة والفقه ، وهى الثقافة الإسلامية الجامعة التى تربط ألف مليون مسلم برباط لا إله إلا الله ، ووحدة الفكر والعقيدة والإيمان •

لقد مرت تجربة القومية العربية بمرحلة المد ، ومرحلة الهبوط ، فى خلال ظروف حاول التغريب خلالها فرضها على العرب والمسلمين ، وسوف لا تعود هذه التجربة مرة أخرى ، ولن تكون لها أية قائمة جديدة مهما حاول ادعـاء ذلك « محمـد حسنين هيكل » وغيره .
إن النظـرة إلى الأعمـاق تؤكـد أن العـرب والمسلمين يبحثـون الآن عن المنابع والجذور ، إن العرب اليوم يتحركون فى إطار الأمة الإسلامية ويعتبرون وحدتهم مرحلة على هـذا الطريق ، ويعرفون أن الطريق إلى ذلك أمران لا ثالث لهما : الجهاد لاسترداد الأرض المقدسة ، وإقامة المجتمع الإسلامى بتطبيق الشريعة الإسلامية .

وعلى الأقل فقد تكشف اليوم للناس حقيقة دعـوة القوميـة العربية المضللة وما كانت تضمر من أحقاد للإسلام ومحاولة لهدمه .

المواجهـة مع الغرب لن تتوقف

لا سبيل إلى دراسة تاريخ الإسلام أو تاريخ العرب أو الواقع الإسلامى العربى فى أى حلقة من حلقاته و صورة من صوره ممزقا مفرقا ، فإن هذه المحاولة ــ فضلا عن أنها من أعمال التغريب والغزو الثقافى ــ فإنها تحول دون الوصول إلى الحقيقة ، ذلك لأن الحقيقة لا يمكن أن تعرض إلا كاملة ، وإن المواجهة بين أى جزء من عـالم الإسلام وبين خصومه هى مواجهة مع عالم الإسلام كله ، وإنمـا تجزئة المعارك والمواقف تحول دون إثارة الأجزاء الأخـرى ، بينما تكون النتائج بعيدة الأثر فى كل الأجزاء والابعاد،لقد علمنا الاستعمار أن ننظر نظرة جزئية وإقليمية ، وأن تشـغلنا القضـايا الداخـلية والخاصة وذلك حتى تنقطع الصلة بين الجزء والكل ، بينما نجد أن الاستعمار والتغريب إنما يخططان من خلال خارطة واسعة يوجـه فيها الضربات إلى نقطة فى أقصى المشرق ثم إلى نقطـة فى أقصى الجنوب ثم إلى نقطة فى أقصى الغرب ، مبـاعداً بين ضرباته حتى لا يلتفت أحد إلى الأطراف طرفا بعد طرف ، ولذلك فإن علينـا أن ندرس (كل عناصر الفكر الإسلامى) من خلال نظرة كلية عامة :

أولا : لأن النظرة الجزئية من شأنها أن تحول دون الوصـول إلى الغاية المرتجاه ، وهى فى نفس الوقت تحقق الهدف الذى رسمه النفوذ الأجنبى والتغريب ، ومن خلال إحدى كبرى تحديات العصر (فلسطين) فإنهلا يمكن دراستها منفصلة عن أبعاد أخرى متعددة ، وهى أبعاد تاريخية وجغرافية ، وتذهب إلى تاريخ أوربـا وتاريخ اليهود وتاريخ الدولة العثمانية ، وتصل إلى الحروب الصليبية وحروب نابليون والثورة الفرنسية ، وأبعاد فكرية وثقافية وعقائدية تصـل إلى « إبرهم » أبو الأنبياء وإلى بابل وإلى مكة والى مصر ... الخ .

هذا بالنسبة لقضية واحدة هى قضية فلسطين فما بالك بعشرات القضايا التى يفجرها الصراع وتفجرها المواجهة بين عالم الإســـلام والغرب ، منذ بدأت أولى علاقات اللقاء ، ومنذ جاء الإســـلام إلى اليوم ، وهى مواجهة لم تتوقف ولم تهدأ منذ أحس الغرب بظهور الإسلام ، وأخذ منذ ذلك اليوم يحاول قمعه داخل الجزيرة العربية، ويحول بينه وبين الانطلاق لتبليغ رسالة الحق ، ولتحــرير البشرية من عبودية الإنسان ومن الوثنية والجور ، منذ ذلك اليـــوم وإلى عصور قادمة ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها فإن هذه المواجهة لن تتوقف ولن تنتهى ، وســيظل المسلمون — أصحاب هذه المنطقة الخطيرة من العـــالم ، وذلك الموقف الدقيق الحاســم — فى موقف المرابطة الدائمة والمواجهة القائمة التى لا تنتهى (ذلك لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة) وكل سياسة ترسم على غير هذا الفهم فإنها سوف تجد من نصيبها الفشل والانهيار ، وكل نظرة توجه إلى قضية مـــن قضايا التحديات المثارة الآن فى عالم الإسلام مع الغرب لابـــد أن تدرس فى إطار هذه النظرة الكاملة التى تجمع كل الأطراف وتستقطب كل الأبعـــاد .

ولعل أقوى ما يؤكد هذا الفهم : هو الوجهـــة الواضحة لكـــل القوى الطامعة ، والمغامرة ، سواء أكانت الاستعمار أم الصهيونية أم الماركسية أم الإلحاد أم الوثنية ، فإنها جميعها — على اختلاف مشـــاربها ومطامعها — تتجمـــع حول هدف واحد هو الإدالة من (عالم الإسلام) بالإدالة من (الإسلام) نفسه ، ذلك « الخطـــر » الذى لم تتوقف فى الحشد له والتخطيط لمواجهته وتنفيذ المؤامرات لضربه ، ومع ذلك فإنه مازال قائما كالطود ومازال يكسب كل يوم أرضا جديدة ، ومازال يستبدل أجنحة الضعف بأجنحة القوة ، فكلها تهدم له ركن ، تجدد ركن ، وكذلك كان شـــأنه إبان تاريخـــه كله ، يواجه الأزمات والأحداث ثم يخرج منها مصهوراً لامعا كالذهب ،

مجددا نفسه بالاستمداد من منابعه ، مندفعا إلى آفاق جـديدة لتستضىء به ٠

ومن هنا فإن علينا اليوم حين نواجه واقعنا أن نبدأ من الخطة الأولى ، عندما تجمعت القوى لتحول بين الإسلام وبين الخروج من الجزيرة العربية وتآمرت قوى الروم مع كل خصوم الإسلام للقضاء على هذه القوة الجديدة ، إزاء هذا تجمع الغرب فى محاولات متعددة من خلال الدولة البزنطية التى لم تلبث أن واجهت هزيمة ساحقة فى معركة (ملاذكرد) التى كانت إعلانا ومقدمة للحروب الصليبية التى استمرت فى الشرق قرنين من الزمـان وانتهتبا لهزيمة الساحقة ، بالرغم من امتلاكها أجزاء هامة من الساحل الشامى ، وسيطرتها على بيت المقدس فترة من الزمان ، وبالرغم من تآمرها بالاتفاق مع قوات التتار لضرب الإسلام بعد حصاره وتطويقه ٠

ثم جاءت الجولة الإسلامية التركية التى حققت السيطرة على القسطنطينية والتى زحفت إلى قلب أوربا فسيطرت على البلقـان ووصلت إلى أسوار فينا ، وأقامت هنالك ثلاثة قرون أو تزيد ، فى هذا الوقت كانت حركة الإدالة من الوجود الإسـلامى فى الأندلس تصل إلى غايتها ، وتدفع هذه القوى الأسبانية والبرتغالية فى حركة التفاف حول عالم الإسلام لمحاصرته وتطويقة ، كمقدمة للاسـتعمار الغربى الذى سيطر على مقدرات المسلمين منذ القرن الثـامن عشر (أندونيسيا والفيلبيين والهند) ، ثم السيطرة على العـالم العربى خلال القرن التاسع عشر حتى تم له ذلك فى نهاية الحرب العالميـة الأولى حيث سقطت الدولة العثمانية وتمزقت البـلاد العربية بين الاستعمارين : الفرنسى والإنجليزى وأسلمت فلسطين لقمة سائغة للصهيونية العالمية ٠

ومنذ ذلك اليوم والمسلمون يعيشون معركة المواجهة الخطـيرة

التى تتشكل وتتحول بين استعمار واحتلال ، إلى سيطرة اقتصادية وغزو ثقافى ، إلى صراع بين فرنسـا وانجلترا ثم إلى صراع بين الغـرب والشيوعية ، ثم صراع بين قوى الاسـتعمار والصهيونية والماركسية ، سياسيا وفكريا واجتماعيا .

ولكن القوة المؤمنة استطاعت أن تقتحم كل مؤامرات القضـاء عليها ، وتدافعت لتعلن كلمة الله إلى العالمين فى مواجهة امبراطورية الغرب كما فعلت من قبل فى مواجهة امبراطوريتى الفرسى والروم .

أخطر مؤامرة تعرض لها الإسلام فى العصر الحديث

تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة

إن أخطر الآثار التى ترتبت على مخططات الاستشراق طريقا إلى التغريب هى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية إلى إقليميات وقوميات، وغرس إسرائيل فى قلب الوطن الإسلامى ، فقد كان العمل الأول والأكبر الذى قامتبه هذه القوى هو وضع مخططات ترمى إلى احتواء العالم الإسلامى كله والسيطرة عليه ، ومن ذلك دعوتهم إلى القومية وإلى الاشتراكية وإلى تشويه الوحدة الإسلامية الجامعة والتآمر على دولة الخلافة الإسلامية لتمزيق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الإقليمى على كل منطقة ومحاولة إقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منطقة مسمد من تاريخ ما قبل الإسلام ، وبذلك أحيوا دعوات الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان ، والآشورية والبابلية فى العراق ، والبربرية فى المغرب ، والزنجية فى إفريقيا ، بهدف تقطيع أواصل العالم الإسلامى • وقد أكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات هو من أكبر أهداف عملهم ، ومن ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأداب المصرى ، والسورى والعراقى ، والحضارة العربية والحضارة الإسلامية والحضارة المصرية وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانيية ، وهكذا جرت المحاولة بفصل الأدب والثقافة والفكر — فى هذا العصر الحديث — عن منطلق الفكر الإسلامى فى تاريخه وقيمه ، وفصل الأدب العربى عن الفكر الإسلامى بينما هو (وحدة) من وحداته لاتنفك عنه ، وهذه مؤامرة خطيرة يجب الوقوف فى وجها •

وجاءت القضايا السياسية لتدرس فى كل قطر على حدة ،

وتتكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الإســـلامية فى إقليميات وقوميات كان من شأنها سقوط الوحدة الإسلامية الجامعة إلى حين ، وتثبيت الدعـــوات المرتبطة بالعرق والـــدم والعنصرية ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربى والبلاغة العربية فى كل قطر على حدة ، بينما هى مما لا يمكن فصله أو تجزئته ، وتنافش المسلمون الشخصية الواحـــدة فقـــال عنها هؤلاء : إنه تونسى وقال الآخرون بل جزائرى ، وقال آخرون إنه ولد فى جنوب ليبيا (وكذلك قطر على حدة ، بينما هى مما لا يمكن فصـــله أو تجزئته ، وتنافس فارسى ، ونسوا حقيقة أساسية هى أن العقل الإسلامى وحده هو الذى كون هذه الشخصيات ، وكون آثارها ، وأن اللغـــة العربيـــة والقرآن والسنة هى مصادر هذه الأعمـــال حيث لم يكـــن يعرف المسلمون فى عصورهم المزدهرة مثل هذا الخلاف بين العربى والفارسى والتركى وهو مما رماهم به عدوهم ، بل كان المسلمون وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر إلا من لا إله إلا الله ، وقد جال « ابن بطوطة » أربعين قطرأدون أن يوقفه أحد منذ خـــرج من الأندلس حتى بلغ جـــاوة .

تلك هى مؤامرة الاستشراق الكبرى التى هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق أمام غزو قومية أخرى خارجيـــة على وجـــودهم ، ومزقت العالم الإسلامى كله إلى قوميات وأسقطت الخلافة الإسلامية ومكنت للإقليمية التى ما تزال تصر على انفصالها ، وكانت الأطروحة الكبرى ،هى الماركسية منأ خطر ما حال دون وحدة المسلمين وأسلمهم إلى ولاءات مختلفة بين القوى الغربية والشرقية .

هــذه هى العــبرة

إن المقارنة بين اليقظة الإسلامية ونهضة اليابان هى قياس مع الفارق البعيد والعميق ، وعندما يقال إن النسيج الاجتماعى اليابانى استجاب للمتغيرات دون أن يفقد تماسكه لا يكون هذا القول ممثلا للواقع ، فإن أهم شيء هو :

هل واجهت اليابان تلك الحرب الفكرية الواسعة الضخمة التى قــام بها الغرب إزاء المسلمين والعرب لانتقــاض ذاتيتهم وتدمير وجودهم والتشكيك فى نظامهم الإســلامى وهــدم قيمهم وتعويق نهضتهم بشتى السبل ، وبث المذاهب والأيدلوجيــات الهدامة بينهم لحرمانهم من تحقيق امتلاك الإدارة الحقيقية ؟

إن اليــابان لم تواجــه من ذلك شيئا ، وما واجهت الغــزوة التغريبية أمة ما على وجه الأرض بمثــل الشراســة والعنف التى ووجهت به الأمة الإسلامية ، ذلك لأن الغرب لا يخــاف اليــابان ولا يخاف أى أمة من أى دين آخر ، وإنما يخاف الإسلام وأمته ، ويتوقع أن تكون نهضته وصوته عاملا من عوامل تقلص نفوذ الغرب .

إن التغريب يهدف أن تزول ذاتية الأمة الإســلامية وهى فى طريقها إلى التحديث ، ولكن الأمة الإسلامية ستقاوم فى سبيل حماية ذاتيتها ولن تقبل من الغرب سوى العلوم التجريبية ولن تقبل التبعية والانصهار فى بوتقة الحضارة الغربية التى تتجه إلى الانهيــار . إن امتلاك الإدارة الذاتية لا تحول دون تحقيق العصرية والتقدم ، وكذلك فعلت اليابان ، وهذه هى العبرة التى تأخذها من الأحداث ، فقد حافظت على تراثها الوثنى وقبلت من الحضــارة ما دفعها إلى

الأمام دون أن تفقد ذاتيتها فهل يمكن لمن يملك أعظم المناهج وأكرم القيم أن يتنازل عنها فى سبيل قبول عرض من الدنيا ؟!!

ومعنى هذا أن المسلمين قادرون على أن يقيموا نهضة عصرية كبرى من خـــلال منهجهم الإســـلامى ، وأن المنهج الدينى لا يعوق النهضة • وإذا كانت اليابان وهى تملك منهجا وثنيا قد استطاعت مع المحافظة عليه أن تقيم هذه النهضة فكيف بمن يملك منهجا ربانيـــا أصيلا ، قام على حماية العلم والتقدم وحقق تجربية ألف عام كاملة فملأ الدنيا بنوره وأضوائه ؟!!

هذه هى العبرة •

هناك محاولة جديدة لتزييف تاريخ اليقظة الإسلامية ، يحمل لواءها عدد من الكارهين للصحوة الإسلامية العاملين على تزييفها ، تلك هى الدعوى التى تقول : إن جيل الرواد (« لطفـــى الســـيد » و « طـــه حســـين » و « ومحمود عزمى » و (على عبد الرازق) و (حســـين فوزى) و (زكـــى نجيب محمود) و (لويس عوض) كانوا على الطريق الذى رسم « جمال الدين » و « محمد عبده » ، وأن اليقظة الإسلامية هى التى انحرفت عن هذا الطريق وأن هؤلاء الرواد هم دعاة التنوير الإسلامى ، فى هذه اليقظة وتلك دعوى باطلة لا يقبلها عقل .

فإن كلمة التنوير نفسها كلمة يهودية ، فالتنوير فى الغرب هو عصر الإلحاد والإعداد لحصار المجتمع المسيحى وتغليب نفوذ اليهود عليه وصراع القوميات مع الكنيسة ، فإذا كانوا هم دعـــاة التنوير بهذا المعنى فى الفكر الإسلامى فذلك رأيهم فيهم ، أما نحن فلا نؤمن بكلمة التنوير ، ولا يعتبر جيل الرواد هذا هو الحلقة الثانية لليقظة الإسلامية التى بدأها أساسا «محمد بن عبد الوهاب» و «والسنوسى» (والمهدى) (وجمال الدين) (ومحمد عبده) ، وهذه اليقظة امتدت فى الدعاة السلفيين الذين انتشروا فى الهند (أحمد بن نعمان)وفى العراق (رشيد رضا) ثم حركة الدعوة الإسلامية التى قادها حسن البنا) أما أولئك العلمانيون فقد خلطـــوا الأوراق وجـــاوزوا طريق (جمال الدين) و (محمد عبده) ، وهل يعقل أن يكون (لطفى السيد) بدعوته إلى محاربة اللغة العربية والجامعة الإسلامية وتعليم العامية تابعا (لجمال الدين) ؟ وهل يمكن أن يتصور أن الدعاة إلى التشكيك

فى أن الشعر الجاهلى هو مصدر من مصادر التفسير القرآنى — كما فعل طه حسين — أو أن الإسلام شريعة ودولة — كما حاول على عبد الرازق — هل يمكن أن يكون هناك أى صلة بين هؤلاء وبين الطريق الذى رسم (محمد بن عبد الوهاب) وسار فيه (جمال الدين) (ومحمد عبده) ؟

لا ريب أن الخط الذى كانت تسير فيه النهضة التى بدأها الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) (بدعوة التوحيد) ووسع نطاقها (جمال الدين ومحمد عبده والألوسى والجزائرى) والتى امتدت إلى المغرب حين أنشأت الحركة السلفية المغربية ، هذه النهضة جاء (طه حسين) وجماعة التغريب القادمين من المعاهد الأجنبية للادعاء بأنهم أتباعها ليحولوا تيارها نحو العثمانية ، على النحو الذى قام به الذين أنكروا المعجزات وحاولوا قبول القوانين الغربية بدعوى أنها لا تختلف — كثيرا — عن الفقه الإسلامى . هذا التحول الخطير الذى قام به « سعد زغلول » فى تفريغ الحركة الوطنية من انتسابها الإسلامى « ولطفى السيد » بقبول الليبرالية بديلا للمنهج الإسلامى وما نتج عن حجب الشريعة وقبول منهج الغرب فى التعليم والتربية والسياسة والاقتصاد .

كل ذلك كان انحرافاً بحركة الإصلاح عن طريقها الحقيقى حتى جاء دعاة اليقظة الإسلامية فأعادوها إلى مفهوم القرآن الأصيل .

تميز الإسلام عن المذاهب والعقائد

إن الإسلام جاء حدا فاصلا بين عصره وما قبله من عصور ، لقد عرف هذا الحد الفاصل باسم (الانقطاع الحضارى) لقد كانت الأديان كلها قبل الإسلام تمهيدا للإسلام الذى يمثل (عصر رشـــد الإنسانية) إن من ينظر فى دقة وعمق إلى هذه المفاصلة التى يقيمها الإسلام فى تعاليمه ، وبالنسبة لأهله وبين التقاليد والقيم والعادات التى كان يعيشها الناس من قبله تكشف له فى وضوح أن عصراً جديدا قد بدأ بظهور الإسلام وأنه تغلغل إلى أبعد مدى فى كل دقائق أمور الحياة والأخلاق والمعاملات .

ولكن قوى التغريب تحاول أن تصور الإسلام على أنه دين من الأديان ، دون أن تكشـــف عن مجموعة الحقـــائق التى عرفت من الإضافات والتغيرات التى تأثرت بها بعض الأديان ومن هنا تجرى محاولة الدعوة إلى تطوير الدين ، وهى دعوة قامت فى الغرب حين عجزت العقائد عن الاستجابة لمتغيرات الحياة فاخضعوها للتطوير ، ولكن هذه الدعوة باطلة حين يراد تطبيقها على الإسلام وعلى الشريعة الإسلامية أو على اللغة العربية التى حملت أمانة النص القـــرآنى المنزل .

إن عملية خلط الأوراق التى يحاول البعض أن يقوم بها باطلة وزائفة وسيرفضها الإسلام تماما ، تلك الدعاوى عن وحدة الأديان ، أو عن تماثل الإسلام مع الديمقراطية أو الاشتراكية كل هذا زيف خادع فأين الإسلام : شريعة الله الربانية الخـــالدة بالمقـــارنة إلى الأيدلوجيات البشرية التى تصـــدعت وأصـــابها الاضطراب وغلبتها متغيرات الزمن فاحتاجت إلى الحذف والإضافة ؟ كذلك فإن هـــذه

المحاولات التى يقوم بها من يلبسون ثوب الإسلام ويدعون الغيرة عليه ويحاولون تبرير الواقع وقبول الرخص ، ليرضى عنهم أصحاب المصالح والخبراء الأجانب الذين يخفون العداوة والبغضاء ، ويطالبون بالتنازلات وراء التنازلات وهم يعملون أنهم بذلك سيصلون إلى هدم تلك الحواجز الأساسية والقيم الرئيسية التى تفصل الإسلام عن سائر الأديان ، حتى لا يظل قائما كالمنارة السامقة فى وجه المذاهب والأيدلوجيات ، هذه المصالحة المدعاة ، تحت أسماء كثيرة ، وهذه المحاولات للتواصل والالتقاء بين الشاطئين ، بدعوى أن الخلافات بين الإسلام والفكر العربى يسيرة ، أو فى مجال الحوار بين الإسلام والأديان وهم يعلمون جيداً . أن المنابع مختلفة اختلافا عميقا ، صحيح أن دين الله واحد فى أساسه ، وأن الفكر الإنسانى قام على أساس رسالة الأنبياء ، ولكن يجب أن يكون معلوما أن هناك تغييرات كثيرة حدثت ، ومعالم كثيرة قد تغيرت ، وأن تتابع الأديان لتتصل إلى الرسالة الخاتمة قد انقطع ، وقامت بدلاً منه دعاوى أقرب إلى القبلية ، ونشأت عقائد جديدة منها التعدد ، والخطيئة ، والخلاص ، واختلط مفهوم الألوهية بالبشرية والنبوة ، وقامت على ذلك فلسفات وقضايا ومذاهب وأيدلوجيات تفصل بين الروح والمادة ، وتحركت المجتمعات من الرهبانية إلى ما يسمى ثورة الجنس ، مروراً بالإلحاد والإباحة ومذاهب العرى والوجودية والهيبية ومذاهب (فرويد وسارتر وديوى ودوركايم وماركس وميكافيلى) كل هذا مر به الفكر الغربى المسيحى الأصيل فى جولة ضخمة خلال ثلاثة قرون فترك آثاره البعيدة على السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية .

فكيف يمكن أن يقال اليوم إن ما بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى يسير ، وأن المسلمين يستطيعون أن يحتفظوا بتراثهم ، ويأخذوا الفكر الغربي الحديث ، الذى يختلف مع ناحية التوحيد

والأخلاق والشورى والعدل الاجتماعى والإخاء الإنسانى ؟ ويختلف مع مفهوم مهمة الإنسان فى الأرض والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والبعث والحساب والجزاء الأخروى ، ويختلف مع مفهومهم للحضارة والعلم وتوزيع الثروة وبناء المجتمعات •

إن الاختلاف اليوم بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى بعناصره الثلاث : الليبرالى والماركسى والصهيونى ، هو خلاف عميق بالـــغ العمق ، وهو أكثر سعة وأشد عمقا من الخلاف الذى قام بين الفكر الإسلامى والفكر اليونانى والفارسى والهنـــدى فى العصر الأول • ذلك أن ذلك الفكر كان فكراً ميتا لا تقوم عليه حضارة ، ولكن الفكر الغربى اليوم قائم من وراء حضارته المسيطرة فعـــلا على العـــالم الإسلامى ، والتى فرضت عليه نفوذاً كبيرا فى مجال التعليم والثقافة والصحافة بحيث حصرته فى دائرة فكرها المغرب ، إلا قليـــلا ، كما فرضت نفوذها على ما يترجم وما يكتب •

إن الدعوة إلى الانفتاح على الغرب فى مجال الفكـــر يجب أن تكون مشروطة بحاجة الأمة الإسلامية وبما يصلح لها — وبحريتها الكاملة — فى قبول ما يتفق مع جوهر فكرها ، وأن يصبح ما تقبـــله هنا مادة خاما من حقها أن تشكلها كما تريد لا أن تغير ذاتية المسلمين وتنحرف بوجودهم الأصيل •

إننا فى حاجة إلى العلوم التجريبية وحدها من الغرب ، ولسنا فى حاجة إلى أسلوب العيش أو الأدب أو المفاهيم الاجتماعية الغربية فإن ذلك كله يختلف مع جوهر مفهومنا الاجتماعى والأخلاقى ، وإننا فى حاجة إلى الوسائل والأدوات ، ولسنا فى حاجة إلى المناهج ، ولن يستطيع أحد أن يفرض علينا أسلوب العيش الغربى أو أخلاقيـــات الغرب ، فما من أمة اقتبست من الحضارة القائمة فى عصرها قبلت التبعية أو الانصهار فى بوتقة الأممية • إن دعوانا الأولى والكبرى اليوم هى الخروج من التبعية •

نريد إسلامنا صافيا خالصا مجردا من تفســيرات الاعتزال أو دعوات المتكلمين أو تعقيدات الفلاسفة أو تأويلات الباطنية •

نريد أن يدخل الإسلام فى مرحلته الأصيلة المستمدة من المفهوم القرآنى ومن التوحيد الخالص •

ذلك أن هذه المحاولات التى تتحدث عن العقلانية أو عن التأويل أو عن التصوف الفلسفى كلها دعوات تحاول أن تخرج بالإسلام عن يسره وبساطته وسماحته وفطرته التى تقبلها كل العقول وترضى الوجدانات والقلوب وتلتقى عليها مختلف الطبقــات فى فهم متكامل جامع للإسلام الذى يربط بين الروح والمــادة ، والعقــل والقلب ، ولاريب أن محاولة إحياء الاعتزال والتصــوف الفلسفى والتــأويل والمنطق والشك الفلسفى كلها محاولات ترمى إلى تعقيد الإســلام وإخراجه من يسره وسماحته •

ومن هنا فأعتقد أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى العمل فى الحقول الآتيــة :

أولا : الكشف عن حقائق الإسلام التى حاولت الدعوات الهدامة وسموم الاستشراق إخفاءها عن العيون ، من خــلال أســاليب لها طــابع علمى براق ماكــر ، والعمــــل عــلى تثبيت مفهــــوم الإسلام الجامع فى النفس المسلمة بعد أن جرفته الدراسات التبشرية والاستشراقية التى سيطرت على مناهج التعليم والثقافة والتربية الحديثــة •

ثانيا : عرض الفكر الوافد على قاعدة الإسلام السياسة :

وكذلك عرض التراث الإسلامى الذى تشكلت جوانب كثيرة منه فى ظل ترجمة الفلسفة اليونانية وبتأثيرها • فلا تقبل إلا ما يطـــابق مفهوم الإسلام القائم على التوحيد الخالص •

ثالثا : مراجعة الفكر العالمى والإنسانى والوافـــد على ضـــوء الإسلام والتحفظ فى قبول المترجمات من الآداب الغربيية ما لم تكن واضحة الوجهة مسددة ، بغرض صحيح لظروفها وأوضاعها ووجهة كتابها •

رابعا : إثارة الإيمان العميق بالفكرة الإسلامية القرآنية وأثرها فى الحضارة الإنسانية ، والدور العميق والخطير الذى قدمه الإسلام فى مجال العطاء العلمى والمعرفى حيث قدم الإسلام : المنهج العلمى التجريبى ومنهج المعرفة ذى الجناحين ، كما قـــدم للبشرية قانون الوجود (نواميس الكون) وقانون الحضارات والأمم الذى يسمى سنن الله فى الأمم والحياة •

خامسا : الكشف عن ذخائر التـــاريخ الإسلامى والبطـــولات وتحليل سيرة الرسول — ﷺ — التى هى نبراس الأسوة الحســـنة والقدوة للمسلمين فى مختلف تخصصاتهم ، الكاشـــفة عن البطـولة الإسلامية فى مجال العلم والتجارة والحرب والسلم والحكم •

تكـــامل الإســـــلام

أولا : ليس علينا أن نأخذ مفـــاهيم الغرب لنطبقها على القيم التى نؤمن بها ، ولكن علينا أن ندرس مفاهيم الغرب دراسة مقارنة لنعرف متى الالتقاء ومدى الاختلاف بين مفاهيمها وصولا إلى الأصالة، والتماساً للمفهوم المتكامل الجامع ، ومع مواجهة الانشطارية الغربية

وأن نكشف عن وجهة نظر الإسلام فى كل القضـــايا التى تدرس فى مفاهيمنا وجامعاتنا مقطوعة الصلة بأصولها التى نشأت منها وبأصالة نظرتنا إليها •

ثانيا : إن أى مذهب أو نظرية مستحدثة يجب أن تعرض على أصول فكرنا الإسلامى ، ذلك أن فكرنا متجدد بطبيعته قابل لاستيعاب التغيرات ، ولكنه قائم على أساس ثابت وله جذور وضوابط « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالبية وانتحــال المبطلين وتأويل الجاهلين » كما يقول نبينا — ﷺ — •

ولذلك فإن علينا أن نكشف دائما عن الفوارق الدقيقة من مفاهيم الفكر الإسلامى والفكر الغربى فى مختلف المجــالات ، إن مفتــاح الفارق العميق يتمثل فى أمور : التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب والبعث والجزاء التى يقوم عليها البناء الفكرى الإسلامى •

ثالثا : فى الوقت الذى تعجز فيه الحضـــارة الغربيـــة عن فهم مصدر الخطر وتقف فى صلف لا تريد أن تصحح موقفها ، تقف الحضارة الإسلامية موقف الفهم الصحيح ، والاتجاه الســليم نحو تصحيح موقفها وتحرير نفسها ، ذلك باتجاهها إلى المنبع الأصيل (القــرآن الكريم) مؤمنة بأنه هو المصدر الأول الذى يمدها بطوق النجاة كمحاولة جديدة للنماء والتجدد •

رابعا : لا ريب أن الانفتاح على الفكر العالمى له محاذير وأخطاء ومن أجل هذا لابد أن توضع له قواعد وضوابط بما يحفظ للشخصية الإسلامية أصالتها واستقلالها ودورها الحضارى البناء •

خامسا : إن تكامل الإسلام فى مجــال البحث العلمى يعنى أن البحوث لا تنقطع عن سياقها التــاريخى ولا عن أهــدافها ولا عن

ارتباطها بنقطة البدء الأولى فى الإسلام وهى تكامل النظرة : نفس وعقل ، تربية العقل لتحريره من الضلال وتربيـــة النفسى لتحريرها من الأهـــواء ٠

سادسا : إن الأخذ من الغير مقيد بشرط أساسى هو المحافظة على أصالتنا ، لقد قدم الإسلام لنا النظرة المتكاملة الجامعة ، ثقافة وحضارة ، عقل ووجدان ، جماع نظرة الفقهاء إلى التشريع والمتصوفة إلى الوجدان ، وعلماء الكلام إلى العقائد ، والاخلاقيين إلى العلم ، والمؤرخين إلى السير ، والبلاغيين إلى اللغة والأسلوب ، والفلاسفة إلى ما وراء الطبيعة ، لا تستطيع نظـــرة من هؤلاء أن تنفرد بأنها نظرة الإســـلام ٠

لنعرف مصـــادر الخطر ونتحاماها

يجب أن تكون للأمة الإسلامية المؤمنة بربها ذاتيتها الخاصـــة وتكوينها الخالص ، المستمد من ثقافتها الإسلامية الأصيلة المستقلة بأصولها ومفاهيمها عن زيف ما تذيعه صحف التغريب وكتبه ونشراته ، وأن يكون للمسلمين تكوينهم الخاص وتربيتهم الإسلامية لأبنـــائهم وأسرهم ، دون أن يطغى عليهم المجتمع العام ويفسر عليهم طرائقهم ومعاملاتهم ، وليدخلوا هذا المجتمع الصاخب فى حذر شديد مراقبين الله تبارك وتعالى فى معاملاتهم ، يحلون الحلال ويحرمون الحرام ، دون أن يصهرهم هذا المجتمع ولا يحتـــويهم ، وأن يعرفوا مـــدى الأخطار التى يوجدها التلفزيون والمسرح والأغانى والمسلسلات على إيمانهم وحياتهم ، وعليهم أن يوجهوا أبناءهم فى حسم إلى التفرقة بين المجتمع الإسلامى وبين هذا الموقف المتـــلاطم المضطرب الذى يختلط فيه الخير والشر والحسن والقبيح ، وأن تكون الأسرة المسلمة قادرة على التحرر من قيود التبعية ومرتفعة فوق الاحتواء ، تنظـــر إلى تلك النفثات والسموم فى حذر شديد ، وهى تعرف أخطـــارها فتتجنبها راضية بحياة بعيدة عن البريق ، هذا المجتمع يتشكل على أساس الإيمان بالله والفهم العميق لأمـــانة العقيدة ومسئوليتها فى إقامة المجتمع الإسلامى الملتزم داخل المجتمع الإســـلامى الكبير ، مستكملا نقص التعليم فى البيت ومقيما مفهوم التربية الإسلامية فى داخل الأسرة ومطبقا لمفهوم المعاملات الإسلامية على نفسه وأسرته وآله ، أما الذين يرون أن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تشق هذا الطريق ، وأنهم أعجز عن الاستقلال بمفاهيم الإسلام فهم أصحاب مفاهيم التعطيل والتأويل والأخذ بالرفض ذلك أن الأمة الإسلامية حين تعرف مصدر الخطر والتآمر الواردة اليها عن طريق وكالات الأنباء

والمسرح والقصة ، وعن طريق الأيدلوجيات والمذاهب الوافدة فى الثقافة والفكر والصحافة ، فإنها تستطيع أن تتحاماها مادامت قد عرفت مصادرها اليهودية التلمودية ، وغايات أهلها من استعماريين وماركسيين ، ورأسماليين ، يطمعون فى السيطرة على مقدرات هذه الأمة وعلى احتواء أهلها بإدخالهم فى بوتقة الفكر الأممى ، إن الذين يثبطون عزيمة الأمة عن المقاومة هم أكبر الأعداء لهذه الامـــة وهم أشد عليها خطراً من التغربيين أنفسهم •

إن محاولة تأصيل واسعة تطـرح نفسها بقوة فى أفق الفكـر الإسلامى ، وهى تصل اليوم إلى أبعاد مختلفة ويجب أن لا تقف عند مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، بل تتعدى ذلك إلى مجال العلوم والفنون وإلى مجال الحضارة والمعمار فى سبيل إحياء أسلوب العمارة الإسلامية بعد أن طغت ظاهرة العمارة الغربية كجزء مـن خطة التغريب التى تهدف إلى تقبل أنواع الفنون المعمارية الأجنبية دون تقدير لوجوه الحاجة والمنفعة والمظهر الأصيل .

إننا مطالبون بثلاث أمور (أولا) : بإعادة النظر — فى ضـوء الإسلام — إلى كل ما يقدم لنا من نظريات .

(ثانيا) : إعادة تقييم المرحلة السابقة من تاريخنا المعـاصر (فكراً وأدبا وثقافة) تلك التى أطلق عليها جيـل العمالقـة والقمم الشوامخ .

(ثالثا) : التخفف من المصطلحات الأجنبية المعبرة عن تصورات ومصالح أجنبية ، غربية عن كيان الأمة الإسلامية ومصالحها مع تأكيد الالتزام بمصطلحات نابعة عن عقيدة الأمة وتاريخها وتراثها وجوهر فكرها وشخصيتها الإسلامية .

إننا مطالبون بالمحافظة على التميز الذاتى لشخصيتنا الإسلامية والانطلاق على نحو تجدد به نفسها دون أن تقع فى مأزق الجمهور أو الانصهار إن نقطة الانطـلاق هى أن يعترف المجتمع بانتمائه إلى الإسلامية وما يتبع هذا الانتماء من التزام وسلوك .

إن هناك هدفاً وراء مؤامرة الاحتواء والحصار التى تقوم بها

قوى التغريب والغزو الثقافى هى : إخراج المسلمين من منهج حياتهم الأصيل الذى رسمه لهم القرآن الكريم ، وإزالة التميز الخاص للذاتية الإسلامية .

إن للإسلام مقاييسه الواضحة فى النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ ، تختلف اختلافا واضحا عن تلك المفاهيم الوافدة ، فهى مستقاة من الفطرة الأصيلة ومن القيم الأساسية ، التى علمها الإسلام لأمتنا منذ أربعة عشر قرنا ، بينما لم تعش المفاهيم الوافدة أكثر من مائة عام .

إن التغريب هو الاحتواء والانصهار فى بوتقة الأممية إن الحفاظ على الكيان (العقيدة واللغة والتاريخ) يتطلب بقاء واستمرار عامل القدرة على المقاومة والمرابطة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاستعداد لمواجهة كل عدوان . ماذا نأخذ وماذا نعطى فى صلاتنا الفكرية والأدبية والفنية بالعالم أجمع ؟ إن المسألة ليست مجرد أخذ وعطاء ولكن يجب أن نحدد ماذا نأخذ ، وماذا نعطى ، وما هو المعيار الذى نأخذ به ونعطى ، وما هو الطابع المميز لشخصيتنا الفكرية بين الأخذ والعطاء . لكلا التيارين الوافدين (الغربى والماركسى) أتباع وحواريون وكهان وما استطاع فكرنا أن يهضم ما قدموه أو يحوله إلى عناصر فى شخصيتنا لأنه يختلف معها فى الجذور .

بين الوحدة البشرية والتمايز الثقافى

إن أخطـر ما يواجـه المسلمين اليوم أن يجـدوا بين أيديهم دراسات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامى من وجهة نظر غربيـة مسيحية أو ماركسية اشتراكيه ، وكلتاهما تختلف اختلاف أساسيا عن مفهوم الإسلام الأصيل الذى هو (أيدلوجية كاملة) ومنهج حيـاة ونظام مجتمع •

هذه الدراسات يجب النظر إليها بحذر شديد وشىء من الشك فى هدفها ، ذلك أنها لم يقصد بها تقديم الفكـر الإسـلامى تقديما صحيحا ، أو وضعه فى ميزان الإنصاف ، ولكن قصد بها إلى انتقاصه والغض من شأنه بهدف واضح هو تغريبه وتزييف مفاهيمه وإثارة الشبهات حول حقائقه •

ويتمثل هذا العمل فى عديد من دوائر المعارف التى نجدها بين أيدينا الآن فى كل المكتبات العامة وفى الجامعات والمعاهد التى يتلقى فيهـا أبناؤنا العلم ،و نجد هذه الموسـوعات ميسرة جدا للرجوع إليها فى أى وقت ، ومن هنا يكون الخطر لأن هذه الموسوعات الميسرة (دائرة المعارف الإسلامية ، المنجد ، الموسوعة الميسرة) مسمومة فى كثير من موادها ، وإنها لا تقدم المفهوم الصحيح الذى يمثله الإسلام فى جوهره الحقيقى ، لذلك فإن علينا أن نكون على حذر فى مواجهة هذه الموسوعات •

إن هناك نظريتين تكشف النظرة الأولى لهما عن أنها متناقضتان ولكن بشىء من التأمل نجد أنهما متكاملتان : نظرية الوحدة البشرية ، ونظرية التمايز القومى الخاص ، ذلك أن هناك خصائص عامة توجد حيث وجد الإنسان ، فالإنسانية كلها تلتقى عليها ، وهناك خصائص ذاتيـة لكل أمة نتيجة دينها وعقيـدتها ولغتها وثقـافتها • فالعلوم

والمعارف عامة ، والثقافات خاصة ويمكن لكل أمة أن تنتفع بالعلوم والمعارف العامة كما تشاء ولكنها يجب أن تكون حــذرة فى اقتباس الثقافات حتى لا تطغى أى ثقافة منها على معالم ذاتيتها الخاصــة فتذيبها فى بوتقتها أو تحتويها ، وقد أعطى الإسلام للأمة الإسلامية تميزا خاصا وهوية واضحة ، والمسلمون مطالبون بالمحافظــة عليها وحمايتها والحيلولة دون انصهارها فى الأمم الأخرى .

وقد تتلاقى الأمم الغربية أو تختلف ، ولكنها فى النهاية تدين بدين واحد يختلف عن دين الإسلام .

ويعطى التمايز الثقافى اختلافا واضحا فى قضايا متعددة : منها قضية العلاقة بين الرجل والمــرأة وبنــاء الأسرة ، ومنها قضــية التعامل الاقتصادى ، ومنها قضية التعامل مع المجتمعات بالأنانيــة أو الغيرية ، ومنها النظرة العامة المادية فى الغرب ، والجامعــة بين الروح والمادة فى الإسلام . وفى إطار الإســلام فإن الخلافات فى الوطن والبيئة والعادات والتقاليد تكون يسيرة وقليلة بالنسبة لأوجه الالتقاء المتعددة والواسعة والعميقة فى مختلف المفاهيم الاجتماعيــة والسياسية والاقتصادية ، لأن عطاءنا الحقيقى لا يجعلنــا فى حاجة إلى اقتباس ، إن طابع الإســلام لا يقبل المشــاركة أو المداخــلة أو الاحتواء .

فى الغرب يقولون إن نظريتهم هى مزاج بين الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والدين المسيحى،وفى الشرق يقولون أن(الماركسية) مزيج من الفلسفة الألمانية والاقتصاد الإنجليزى والفــكر السياسى الفرنسى ، أما نحن فإن الإسلام يجعل التوحيــد أساسا لتقبل أى مفهوم فى إطار الإسلام ، ومن قبل كان كذلك موقفه من فكر الوثنية الفارسية ، والمادية الإغريقية ، والكابالا الهنــدية ، وسيظل طــابع الإسلام واضحا مهما حاولوا ربطــه بالديمقراطيــة أو القوميــة أو الاشتراكية ، فالإسلام لا يقر المزج والتركيب فى الفكر البشرى .

إن هذه الدعــاوى لن تعيش إلا قليــلا : تلك التى تخلط بين الإسلام والماركسية .

إعادة صياغة المجتمع الإسلامى من جديد

إذا قلت إن مهمة الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة من تاريخنا فى العقد الأول من القرن الخامس عشر هى إعادة صياغة المجتمع الإسلامى من جديد على طريق الله ما عدوت الأمل الذى يملأ الصدور والذى هو حجر الزاوية الحقيقى فى أن المجتمع الإسلامى يجب أن يعود إلى منهج الله بعد أن جرفته الحضارة المادية المعاصرة ببريقها الخاطف وإغراءاتها ورياحها التى تحاول أن تخرج المسلم من الحدود والضوابط التى رسمها الإسلام .

إن الصحوة الإسلامية تعنى أول ما تعنى أن المسلم قد عرف مسئوليته ، عرف حدود سعية فى الحياة ، هذا السعى الذى هو العمل الدائب المستمر من أجل العمران والرزق ، جريا وراء الكسب الحلال وحده ، ثم هو لا يتوقف عن رعاية أبنائه وأهله لإقامتهم على الحق ، مشكلا بيته وأبناءه على الإيمان بأن الحلال وحده هو المطعم الوحيد الذى يقبله الله تبارك وتعالى ، مهما كان ضيقا أو قليلا ، صارفا وجوههم عن البريق والترف الذى فيه طلاب الحرام . ويحرص على حماية أبنائه وأهله من انحرافات أدوات التسلية والمسلسلات المنحرفة والقصص الهابط ، وفساد بريق الصحف الصور العارية والأغانى الخليعة ، وليس ذلك سهلا وميسرا فى مجتمع يضطرب بألوان الفساد والانحراف ، ولكنه ممكن مع غرس الإيمان فى القلوب ، وتعويض هذا الزيف بثقافة إسلامية طيبة .

تلك هى رسالة الآباء والأمهات اللاتى يشكلن الأسرة الإسلامية الجديدة ، فليس يكفى أن يلتزم الشباب بالعبارات والشابات بالحجاب ، وإنما لابد من بناء النفس فى داخل هذا الكيان بإسلام الوجه لله ، وبيع الروح له ، وإقراض الله تبارك وتعالى ، والانتقال

من الأنانية إلى الغيرية والإيمان بالمسئولية الفردية مصاغة فى قالب الالتزام الأخلاقى .

فإذا مضت البراعم الجـديدة على هذا النحو تكونت الأمة المؤمنة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، وتأسس رأى عام يحل الحلال فى وكل أعماله ويحرم الحرام ، ولا يقبـل الربـا ، ويرفض الكسب الذى يأتى عن طريق الخداع أو الغش أو (التهليب) .

هذا هو المجتمع الجديد الذى نتطلع إلى أن ينشأ فى محيطـه الأجيال الجديدة المؤمنة بالله القادرة على بذل الجهد فى حماية نفسها من أخطار الحضارة المدمرة وإسقاط مفهومها المضـلل الذى يدفـع الناس إلى الاستمتاع بالحياة قبل أن يتخطفها الموت ، وأن يكـون المال وسيلة إلى الاسراف والإفساد فى الأرض دون تقـدير لأن المال امتحان للإنسان وأنه حساب ومسئولية فى الآخرة .

إن المجتمع الإسلامى يجب أن يتحرر من الانحرافات والأخطار التى حولته عن وجهته الحقيقية ، وأهم ما فى ذلك كله العـلاقة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء ، فقد حرص النفوذ الغربى على إفساد هاتين العلاقتين وإثارة السموم حولهما بهدف تدمير اللبنة الأولى فى المجتمع وتخريجها وهى الأسرة حرص على أن يدفع بالمرأة إلى خارج البيت بغير هدف محدد أو ضوابط حقيقية ، وليس فى عمل المرأة ما يعاب عليها إذا كانت فى حاجة إليه ، أو كان من الأعمـال المناسبة لها ، فإذا كانت هناك مفاضلة بين تربية الأبناء وبين العمـل فإن تربية الأبناء : هى الرسالة الأولى والكبرى وهى مسئولية المرأة أو وأخيرا . فلنحذر من حوار المسلسلات والمسرحيات ، فإنه يريد أن يدمر قيمنا ويصهرنا فى بوتقة الإباحية ويحطم قدرتنا على مقاومة الأخطار .

ولقد كان النفوذ الأجنبى والتغريب حريصا على هدم هـذه

المهمة لإخراج أجيال تربت فى أحضان الخادمات ففقـدت الحنـان أساسا ثم لم توجه الوجهة الإسلامية الصحيحة منذ نعومة أظفارها •

ولقد كان علينا أن نكشف للمرأة المسلمة عن المؤامرة التى قادتها إلى تدمير عرشها وتدمير الأجيال ، حتى جاءت المرأة الغربية نفسها التى أخرجتها المؤامرة الماسونة لتعترف بالخطأ ، وجاء خبراء وعلماء أمثال « الكسى كاريل » وغيره ليكشفوا للمرأة الغربية الحقيقة التى قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا وهى أن للمرأة مهمة مختلفة عن مهمة الرجل ، وأن جهازها البيلوجى والنفس والجسـمانى مختلف اختلافا عميقا عن جهاز الرجل لأن الله تبارك وتعالى خلقها لمهمـة مختلفة ، وقد أعطاها الله تبارك وتعالى قدرات خاصة بهذه المهمة منها العاطفة والحنان والصبر على رعاية الأبناء •

ولقد استطاعت المرأة المسلمة فى ظل الصحوة الإسـلامية أن تحسم موقفها وأن تدخل فى أمر الله حين قبلت الحجاب والتزمت به ولكنها فى حاجة إلى أن تستكمل أمانتها بأن تخلص عن بعض المناقض كالروح وطول الأظافر والحزام الذى يصف الجسـد ويحـدده ، أو ضحكات الطريق والتثنى مما يفسد هيبة المرأة ولقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا اللباس الإسلامى حاميا لها من نظرات الفضوليين ومعابثة العابثين ، فلتمش فى الطريق إلى غايته حتى تكون رضاء الله عنها شاملا •

إن عودة المرأة إلى الله هى حجر الزوايـة فى تصحيح طريق المجتمع ، وهى العامل الأكبر فى إعادة صياغة المجتمع الأسلامى من جديد ، أما الشباب المسـلم فمسئوليته كبيرة ، وأهم مسئولياته هى الثقافة والفهم والتعرف الصحيح على مصادر الخطر وعلى المهمـة الحقيقية للشـباب المسـلم فى هذا العصر • لابد من معرفة مفهوم الإسلام الحقيقى الذى يحمى هذا الوجود من الانصار أو الانهيار ،

إن أخطر المخاطر التى تواجه شبابنا هى الانصهار فى بوتقه الحضارة المنهارة التى تهدف إلى القضاء على القيم والضوابط والحدود التى أقامها الدين الحق لحماية الإنسان من التدمير وحماية المجتمع من الانهيار •

إن قوى كبرى تود أن ينهار هذا الشباب تحت ضربات الفساد والإباحية والسموم والخمر وبنات الليل والحرام حتى تسقط هـذه الأمة فى براثن ومخططات بروتوكولات صهيون والماسونية •

إن هذه الأمة قد أقامها الله تبارك وتعالى فى هذا المجتمع من كوكب الأرض لتكون حامية لمقدساته ، مدافعة عن حماه فهى (أمـة الرباط) إلى يوم القيامة ، وهى مطمح الغزاة فى كل عصر وجيل وهى التى وعدها رسول الله — ﷺ — بالنصر والثبات (إذا لقيتم فئـة فاثبتوا) وقال إنهم فى رباط إلى يوم القيامة ودعانا إلى أن نتخذ منها جندا كثيفا فهم خير أجناد الأرض إننا أمة الجهـاد فى سبيل الله ، وأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن يريد أن يخرجنا مـن هذه الرسالة فإنه يفعل المستحيل ويجرى ضد التيار ، ويحاصر هذه الأمة فى دائرة مظلمة وهى دائرة التغريب بعد أن عاشت أربعة عشر قرنا فى دائرة الضوء والتماس المنابع والأصالة والرشد الفكرى ، إن هذه الأمة لن تصلح إلا إذا عادت إلى قيمها وأصولها ، وان هذه الأمة قد قيض الله لها أن تستعيد قدرتهـا من مصـادرها الأساسية وليس من معين آخر ، إن أسلوب العيش الإسلامى هو منطلق النصر والتقدم وامتلاك الإرادة والتمكين فى الأرض ، هذا المنطلق القـائم على منهج الله ونظام المجتمع الذى قدمه القرآن الكريم لنا من خلال مفهوم المعرفة الجامع بين الروح والمادة والدنيا والآخـرة والذى يمتلك اليوم الطاقة والثروة والتفوق البشرى ، وإن كل معطيـات العلم الحديث التى نلتمسها من الغرب ستكون بمثابة (مادة خام)

نشكلها فى دائرة مفهوم التوحيد الخـالص ونصهرها فى بوتقتنـا ولا ننصهر فى بوتقة أى حضارة أخرى .

إن مفهومنا الثقافى الجامع الذى يفهم خطه مؤامراه التغريب والغزو الثقافى لحضارنا واحتوائنا ويدفعها بقوة هو الذى يدعـونا إلى إعادة صياغة مجتمعنا الإسلامى من جديد على طريق الله ، وفى ضـوء القـرآن .

مسئوليتنا إزاء الأجيـال الجديدة

إن « أمانة القلم » التى وضعها الحق تبارك وتعالى فى أعنـاق الكتاب تحتاج إلى إيمان راسخ بحق هذه الأمة فى أن تسـمع كلمة الصدق خالصة نقية بعيدة عن الإخفاء أو المبالغة أو التهويل ، فالرائد لا يكذب أهله ، وهى مسئولية أمام الأمة وأمام الله تبارك وتعالى ، وقد خاب من دساها ، وهذه أجيالنا الجديدة المؤمنة المتطلعة إلى أداء دورها فى المجتمع ومعرفة مسئوليتها ودورها ، فى حاجة إلى كلمة حق تضىء الطريق وتملأ تلك القلوب بالثقة والإيمان فى هذه الرسالة التى وكل إلى الكاتبين تبليغها وأداؤها متجردين فى سبيل ذلك من كل هوى وغرض ، ومن كل مطمع وجزاء مادى ، وأشـد الناس حسابا يوم القيامة أصحاب الأقلام الذين حجبوا عن أمتهم صدق الوجهة وطمعوا فى مرضاة أصحاب السلطان ، فإذا طلب إلينا أن ندلى بدلونا فى هذا المعترك الفسيح فإننا يجب أن نثبت على الطريق الذى مضينا عليه منذ أول الشوط وهو أن نقول كلمة الحق وأن نضىء الطريق للفهم أمام الأجيال الجديدة .

ومن هنا فإننا لا بد أن نعرف بأن هناك مؤامرة خطيرة رسمت خطوطها منذ مائة عام ، وهى تمضى فى مراحل وتحـاول أن (تغرب

الإسلام) بأن تخــرجه عن مفهــومه الأصيل ، وقد اعترف بذلك (هاملتون جب) فى كتابه (وجهة الإسلام) ، وتأكد أن هذا مخطط وضع بعد هزيمة الغرب فى الحملات الصليبية بهدف إحلال (حرب الكلمة) بدلا من (حرب السيف) عن طريق (تزيف ، تحوير ، تطوير ، تحديث ..) كل هذا له معنى واحد هو القضاء على الذاتية الإسلامية الأصيلة القائمة على مفهوم الإسلام الصحيح بوصفه (منهج حياة ونظــام مجتمع) وأن كل ما قامت به دوائــر الاستشراق والبشير والتغريب والغزو الثقافى يهدف فى النهاية إلى : وضع مخطط لإسلام يرضى عنه الغرب ، مفرغ من وجهته الربانية مقصوص الجناحين ، مجرد من ذاتيته الخاصة القائمة على أمرين : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن الجهاد فريضة الله الماضية إلى يوم القيامة والمرابطة فى الثغور ، يثبت ذلك ما نجده اليوم أمامنا من ظواهر : ادعاء النبوة واستشراء البهائية ووحدة الأديان والقاديانية وكتابات مسمومة ترمى إلى التشكيك فى الوحى وتدعو إلى إعلاء العقل ، والتشكيك فى السنة ومهاجمة صحابة رسول الله وتصويرهم بصورة السياسيين المحترفين على هذا النحو الذى تناولته أقلام لامعة وأفردت له صحف كبرى صفحات واسعة ثم حالت دون الرد عليه أو مناقشته ، كل هذا يوحى بأننا على طريق خطر : هو (إسلام مغرب) .

وإذا كانت الصحوة الإســلامية صادقة فى وجهتها ، ثابتــة فى خطواتها نحو انتقــال الأمة الإســلامية من مرحلة (تصحيح المفاهيم) إلى مرحلة (تغيير العقول والنفوس) فاننا نجد هنــاك مواجهة تؤكد انزعاج التغريب لسقوط خططه التى عمل على رسمها وجند لها الأتباع سنوات ، وفى مقدمة ذلك الإعجاز العلمى والطبى فى القرآن الذى أفرز من يقول (إن القرآن له حدوده فى مجــال العلم) مع أن القرآن هو الذى وضع قاعدة المنهج العلمى التجريبى المعاصر بآياته (قل انظروا) و (وقل هاتوا برهانكم) .

وتجرى محاولة الهجوم على السنة والحديث النبوى وتشويه التاريخ الإسلامى للوصول إلى التشكيك فى صلاحية الشريعة الإسلامية ، وتواجه كتابات « بوكاى » و « جارودى » بامتعاض شديد فى محاولة لحجب قدرة الإسلام على اقتحام الوجدان الأوربى • وما إحياء المذاهب الهدامة والفرق وإحياء دعوات جديدة ومتجددة (كالبنوة والبهائية والقاديانية) إلا خطوات على طريق القضاء على (تميز الإسلام) بالذاتية الخاصة المتفردة بالتوحيد والعدل والرحمة والإخاء الإنسانى ورسالته إلى العالمين بعد إقامة مجتمعه الأصيل • ولا تخلو مهاجمة اللغة العربية الفصحى عن أن تكون جزءا من المخطط ، ذلك لأنه اذا استغلت العامية تحول القرآن الكريم — وحاشا لله — إلى كتاب أثرى يقرأ بقاموس كما تقرأ الكتب القديمة •

تلك هى صورة موجزة لمخطط المؤامرة التى تواجه أمتنا والتى نجد أنفسنا كأصحاب أقلام مسلمة مسئولين عنها أمام هذه الأمة وأمام التاريخ ، ومسئولية الله تبارك وتعالى أكبر ، فلنعرف مكاننا من المؤامرة ، ودورنا فى مقاومتها ، نعم : هذه أمة شكلت على منهج الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ولا يمكن أن يتم إصلاح لها إلا من منطلق الإسلام ولا ينفعها أى منهج خارجى فى سبيل وصولها إلى امتلاك إرادتها ، فمنهجها هو وحده القادر على التمكين لها ، ولقد كانت هذه الأمة تمر بالأزمات على مدى التاريخ فلا تجد مخرجا منها إلا أن تعود إلى منهجها الربانى الأصيل وعندئذ يعود لها مجدها وعزها ، وهى لا تستطيع أن تقيس أمورها ولا تحل قضاياها ولا تعالج مشاكلها إلا من منطلق المنهج الربانى الذى رسم لها وسائل النصر وأسباب التقدم ، فإذا عادت إلى أصالتها كشف الله تبارك وتعالى عنها أزمتها •

هذه حقيقة لم يعد فى الامكان تجاهلها وهذه الأمة قد اختارت أن تسير على هذا الطريق ، على طريق بناء المجتمع الربانى الصادق الوجهة إلى الله تبارك وتعالى المتحرر من كل العوائق ٠

ويقينى أن أشد الأخطـــار التى تواجه أمتنـــا هى (الغـــزو الفكرى) الذى يحاول جاهداً أن يزيل هوية هذه الأمة وأن يصهرها فى بوتقة الأممية العالمية حتى تفقد طابعها الإسلامى القـــائم على الجمع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة ٠

إن الهدف الذى يطمع فيه أعداؤنا هو وقوع شبابنا فى محاذير التحلل والأهواء والمطامع الصغيرة ، وبذلك يفقد مثله الأعلى وهو حماية الوجود الحقيقى لهذه الأمة وذلك بالتماس الأهواء المضلة ٠

ومن هنا فهذه مجموعة من الحقائق التى يجب أن تكون دائما نصب أعين دعاتنا وشبابنا لمواجهة الأزمة ٠

أولا : لا بد أن يكون العمل الحقيقى المطـــروح اليـــوم هو (أسلمة العلوم والمناهج) وأسلمة التكنولوجيا : ذلك أنه لا بد أن يتسلح المسلمون إلى جانب فهمهم الأصيل للإسلام : (عقيـــدة وشريعة وأخلاقا) بهذا السلاح لكسر طوق التبعيـــة والاســـتغلال ولتسخير طاقات مواردها لتنمية الإنسان المســـلم والوطن المسلم ، وتحرير المستضعفين فى الأرض من السيطرة العالمية ٠

ثانيا : لابد من إقامة نظرية جديدة للتعليم الإســـلامى تختلف عن المنهج التغريبى المفروض الآن فى عديد من البلاد الإســـلامية حيث الولاء للوطنية الإسلامية الجامعة ، وتحصينه ضد المؤامرات وغرس الولاء للوطنية الإسلامية الجامعة ، وتحصينه ضد المؤامرات والمفاهيم الوافدة ٠

ثالثا : لا بد من وعى كامل إزاء محاولة إحياء الفرق القديمة والتيـــارات الضـــالة (كالباطنيـــة والقـــرامطة وإخـــوان الصفا ، وبشار وأبى نواس وابن المقفع والحـــلاج وابن عربى والسهوردى) فكل هذه التيارات ترمى إلى هدم مفهوم أهل السنة والجماعة .

رابعا : إن التجـــربة الحضـــارية المعـــاصرة لا نقبلها تماما ولا نرفضها كلية ، ولكن نقبل منها ما يصلح لإحياء حضارة الإسلام على أن يكون كل ما نقبله بمثابة مواد خام ، تدخل فى نظام الإسلام بثوابته ومتغيراته ، وتتشكل داخله وفق مفهوم الإسلام للحضارة والمجتمـــع .

خامسا : قدم الإسلام مفاهيم ومقاييس صحيحة فى مختلف أمور الثقـــافة والاجتماع والسياسة والاقتصـــاد والتربية تختلف اختلافا واضحا عن مفاهيم الغرب المطبقة الآن فى البلاد الإسلامية والتى ورثنـــاها عن مرحلة النفوذ الاســـتعمارى ، والتى يجب أن نتحرر منها .

سادسا : إن محاولة بناء منهج فكر عربى على أساس النظرية العلمانية تخضع له الأجيال الجديدة قد سقط تماما لأنه منهج زائف ، ليس أصيلا ولا مستمداً من تراث هذه الأمة أو قيمها ، وإنما كان محاولة لتبرير الواقع وتقبله ، وطرح مفاهيم مسمومة ترمى إلى عزل مفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه منهج حياة ونظـــام مجتمـــع .

سابعا : لقـــد سقطت التجـــربتين : الليبراليـــة والماركســـية فى التطبيق ، كما فشلت فكرة القومية الوافدة والإقليميـــة وسقطت دعاوى الفرعونية ، وما يقـــال عن الديمقراطية ليس هو مفهـــوم الشورى ، وما يقال عن الاشتراكية يختلف عن العدل الاجتماعى .

ثامنا : يجب التنبه الى الخطر الذى يواجه الصحوة الإسلامية الآن وهو القضاء على التميز الخاص والذاتية الإسلامية وهو هدف التغريبيين والعلمانيين .

عصر القـــرآن

اذا كان بعض المفكرين قد أطلق عبارة (عصر العلم) عـــلى المرحلة التى تعيشها البشرية منذ القرن الخامس عشر الميلادى إلى اليوم فإننا نستطيع بكل ثقة ويقين أن نطلق على ما تتحول إليـــه البشرية اليوم حثيثا وتبدو فى كل يوم علامة من علاماته ومظهر من مظاهره : « عصر القرآن » هذه العـــلامات قد تعـــددت واتسعت وانداحت على القارات الخمس حتى أصبحت الشمس لا تشرق كل صباح فى أى قطـــر غربى إلا على مسلم جديد ، وهذه المحـــاولات فى مراجعة الأخطـــاء وتصحيح المفـــاهيم وتغيير النظـــرة القديمة فى كتـــابات المستشرقين والمبشرين ، وغيرهم ، وهذه الدراســـات المنصفة التى تكتب عن محمد — صلى الله عليه وسلم — وعن الإسلام والقرآن واللغة العربية حتى يضع غربى مسيحى سيدنا محمد على رأس الأعلام المائة ، وهذا الاعتراف بفضل الإسلام على الحضارة الغربية ، وهذا التقدير الواضح للفقه الإسلامى وخصوبته وعظمته وآيات عطائه ، كل هذا يمثل نافذة رحبة يضىء منها القـــرآن على العالم اليوم ، فى عصر الحيرة والشك والقلق والتمـــزق النفسى ، وحيث فقد الناس فى العالم كله ثقتهم فى الأيديولوجيات والمذاهب والدعوات بعد أن تكشفت لهم من ورائهـــا أهواء وزيوف ، فهـــم يتطلعون إلى شىء فوق الشك ، يمـــلأ القلب بالثقة واليقين ، شىء واحد على الأرض مازال مرتبطا بالسماء مستمداً منها ، لا يأتيـــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو القرآن الكريم •

فنحن حقا وصدقا على أبواب (عصر القرآن) : عصر النـــور

الإلهى الكاشف ، وعصر الحقيقة الواضحة ، وعصر الإيمان واليقين ، وهو العصر الذى سيعطى كل شيء مهمتـــه الحقيقية دون قصـــور أو تقصير • هذا القرآن الكريم « المنهج » الذى أعطاه الله تبـــارك وتعالى للبشرية عندما وصلت إلى مرحلة النضوج والرشد والقدرة على التحرر من أهواء البشرية وطفولتها ، عندما أذنت بانتقالها إلى الإنســـانية على يديه ، منذ خمســـة عشر قرنا أهدى الله البشرية منهجها الربانى فى أسلوبه الرائع وبيانه الرفيع ومضمونه الكريم ، وبه قدم للإنسانية ثروة ضخمة واسعة فى مختلف مجالات الحياة ، ولكن البشرية أرادت أن تأخذ ما تهوى ، فأخذت المنهج التجـــريبى وصنعت به الحضارة وتجاهلت أن المنهج غير متكامل ، وغير جامع ، وغير مترابط ، وأن أى نظام يقوم عليه سيظل نظاما مضطربا ممزقا ، تخترقه الأحداث وتتقاذفه المتغيرات •

إن شرط (منهج القرآن) أن يطبق كاملا وأن يبدأ من نقطـــة البدء : من لا إله إ الله ، حيث الإنســـان والمجتمع والحضـــارة لله خالصا لا للمطامع ولا للأهواء ، ولذلك فإن المنهج التجريبى الإسلامى حين أخذته أوربا فصلته عن (البعد الإلهى) على حين أن أمر المجتمع والعلم والحضارة كله إلى الله وحده (٢) تجاهلت قانون الثوابت والمتغيرات (٣) أنكرت المسئولية الأخلاقية والمسئولية الفـــردية (٤) وهى أخطرها أنكرت ارتباط الفكرة بالتطبيق وارتباط المنهج بالتجربة وهى الخطوة الخطيرة التى أقدم عليهـــا (ديكارت) فمزقت الحضارة الغربية منذ ذلك اليوم ، وعلى هذا النحو لم يعد فى إمكانها العـــودة •

ولا شك أن ارتباط المنهج بالتطبيق قضية كبرى فى القـــرآن تتصدر سورة كريمة من سوره وتدق الأبواب بقوة لتقول :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون • إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »(١) •

هذه هى قوانين الإنسان فى بناء الحضارة والمجتمعات والحياة ، فإذا انتقصت عجزت ، وأصابها الاضطراب ، واخترقتها المتغيرات ، ولوت هى عنقها وعصت فكان لابد من خرابها ، ولقد كشف القرآن من قوانين سقوط الحضارات وهزيمتها حتى ما تستعلى على الله وعلى الحق وعلى حدود الله ، وقد كشف القرآن « سنن الله » فى حضارات الأمم التى زاغت واستعلت بغير الحق : (فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا)(٢) (أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات والأرض إنه كان عليها قديرا) (٣) سورة فاطر •

لقد اندفعت الحضارة فى طريقها فاستنزفت ثروات العالمين ، وفتحت أبواب الترف والفساد وأعطت الألوف وحرمت الملايين ، وهددت البشرية بالأخطار الرهيبة ، فكان هذا آخر عصر العلم ، وأول عصر القرآن ، لقد قدم الله تبارك وتعالى منهجه الربانى للبشرية وترك لها حرية قبوله إذا شاءت (من يشاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقد أقبلت على منهجها البشرى الذى يحقق أهواءها ومطامعها ، فماذا رأت ؟ ، رأت نفسها تعيش عصر الأزمة والتمزق والانهيار والفساد ، وها هى اليوم تتطلع الى منهج جديد ، الى نور جديد ، إلى مخرج لها من مرحلة الظلام الحالك الذى وصلت إليه•

---

(١) الصف/٢ ، ٣، ٤ •   (٢) فاطر/٤٣
(٣) فاطر/٤٤ •

إن كتابات المفكرين الغربيين الأعلام ، الذين درسوا الإسلام فى الغرب وآمنوا به ، تكشف تماما عن حاجة البشرية إلى نور جديد ، وليس غير القرآن ، والى منهج جديد ، وليس غير منهج الله ، انه هو وعلى مختلف البيئات وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يعطيها أمان الحياة وأشواق الروح وراحة الضمير .

لقد جربت أوربا كل مذهب وكل أيدلوجية ، وجرت وراء كل صيحة ، ولكنها لم تتحرر يوما من أهوائها ولم تلجأ إلى ربها ، ولم تلتمس الطريق الأصيل ، لابد أن تعود البشرية إلى الله فتقبل حدوده وقيمه ، أما الإسلام فإنه لن يكون يوما من الأيام مبررا لفساد الحضارة ، ولا مؤولا لأخطاء البشرية ، إنه الحق القوى الثابت الذى يجب أن تخضع له الأمم والشعوب وتخبت له القلوب والعقول ، على البشرية أن تسلم وجهها لله تبارك وتعالى وأن تقبل بطريقه وغاياته ، فالإسلام وحده هو القادر على أن ينقذها من أزمات التحلل والتمزق والفساد التى تحتويها الآن ، كما أنه ينقذها أيضا من عذاب يوم القيامة ، إننا على أبواب (عصر القرآن) فإذا لم تصدقوا فراجعوا أوراقكم مرة أخرى .

الإســـلام فى عصر القـــرآن

كتب العلامة « محمد فريد وجدى » كتابه (الإسلام فى عصر العلم) فى إبان ارتفاع موجة استعلاء نظريات العلم المادى ودخول نظرية « دارون » إلى بلاد الإسلام عن طريق ترجمـــة الدكتـــور « شبلى شمبل » لها عن طريق أشد غلاتها وهو (بخنر) الذى كان يطمع فى أن تسيطر هذه النظرية على المجتمعات الإسلامية فيتخذونها نظاما عاما ومنهجا فى مختلف شئون الحياة والفكر معتقــدا أنهم بذلك يخرجون من الجمود إلى التقدم ، وقد تصدى له هذا الكاتب المسلم ففند آراءه وكذب أحلامه ، وكان « الســـيد جمـــال الدين الأفغانى » قد هاجم المذهب المادى قبل ذلك بكتـــابه (الرد على الدهريين) •

وقد مضت منذ ذلك الوقت أكثر من سبعين عاما تكشف فيها أمران خطيران :

أولا : أن النظرية المادية لا تستطيع أن تكون دينا ، أو تحل بدلا من أى دين لأنها تفقد العناصر الحقيقية للعطاء الذى يتطلع اليه الإنسان الذى خلقه الله تبارك وتعالى من قبضة الطين ونفخة الروح ، فاستوى بشرا ســـويا لا يصلح أمره إلا منهـــج ربانى متكامل ، ومن هنا سرعان ما ســـقطت نظرية ســـيطرة العلم على الإنســـان •

ثالثا : أن نظرية « دارون » بالذات قد ثبت فشلها وتبين أن « دارون » وصل إلى نقطة معينة فلم يستطع أن يتجـــاوزها وهى الحلقة المفقودة ، وأن دعواه فى العلاقة بين الإنســـان والقرد لم تثبت ، وكشفت الحفريات عن عظام الإنسان منذ مليون وستمائة

ألف سنة ، أن الإنسان ينتمى إلى فصيلة أخرى فصيلة القرد ، وأن أهم ما يميزه أن شكل الجمجمة والأسنان وعظـام الساق تشـير إشارة واضحة إلى شكله وكيفية سيره ، لأن زاوية ارتباط العمـود الفقرى بقاع الجمجمة تؤكد أنه كان قادراً على المشى مثلك تماما ، ولم تكن له صفات الوحش المقدس • نشر هذه الحقائق العـالم « ليكى » (مدير المتحف الوطنى فى كينيا) الذى استمر فى أعماله الحفرية لمدة تقارب ثمانية وعشرين عاما قبل أن يصل إلى اكتشافه الهام عام ١٩٥٩ ، وقد فسر « ليكى » الاكتشاف بأنه فرع جديد من شجرة التطور الإنسانى يختلف تماما عن شجرة « دارون » وقد استمر فى أبحاثه حتى أصبح شوكة فى جنب علماء الأنثروبولوجيا ، كذلك فقد أذاع البرفسور «جوهانس هودير» العالم الأثرى فى سينمال بسويسرا بيانا ١٩٥٩ عارض فيه نظرية « دارون » بشدة وقال إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القرود ، وأن التجارب الواسعة التى أجراها دلت على أن الإنسان منـذ عشرة ملايين سـنة يعيش منفردا وبعيدا جدا ، وكذلك أعلن الدكتـور « دونير » (جامعة كولومبيـا) والبرفسور « هوردلر » ١٩٥٦ أن نظرية « دارون » لا أساس لها من العلم وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالا تاما ، فمنها الإنسـان الذى يمشى على رجلين ، ومنها الدواب التى تمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطنها •

وصدق الله العظيم : « فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى عـلى رجليـه ومنهـم من يمشى على أربـع ، يخلق الله ما يشاء »(١) •

---

(١) سورة النور الآية ٤٥ .

وهكذا تبين أن العلم قد تضاءل وأحنى رأسه أمام القرآن ، ذلك لأن العلم نفسه : هذا العلم التجريبي هو من عطاء القرآن ، فلم تكن هناك إلا نظرية التأمل الإغريقية وأفكار « أرسطو » عن ثبات الكون ، ولم يكن هناك إلا رهبانية المسيحية ، حتى جاء الإسلام فقدم للبشرية أصول العلم : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »(١) — (النظر والاعتبار)

« قل هاتوا برهانكم »(٢) — (البرهان)

فكان النظر والاعتبار والبرهان مصدر المنهج العلمى التجريبى الذى حمل لواءه المسلمون ، وراجعوا به كل تراث العلم القديم ، فكشفوا أخطاء « جالينوس » و « أرسطو » وغيرهم ، وأقاموا منهج التجريب لأول مرة فى تاريخ العالم ، هذا المنهج الذى طورته جامعات المسلمين فى الأندلس (قرطبة وبلنسية وأشبيلية) ثم أخذه الغرب وادعى علماؤه أنه من عطائهم ، وأقاموا (مؤامرة الصمت) حول عطاء المسلمين حتى كشفته الأحداث •

فالإسلام فى الحقيقة هو الذى أقام المنهج العلمى (١) التجريبى (٢) منهج المعرفة ذى الجناحين (المادى والروحى) هذا المنهج الذى أقامه علماء الحديث ، وطوره علماء التاريخ والفكر والاجتماع ، والذى وصل قمته بمقدمة « ابن خلدون » التى رسمت للبشرية منهج كتابة التاريخ ومنهج الاجتماع •

كل هذا من عطاء الإسلام للبشرية مستمدا من القرآن الكريم ، ولقد حاول الكثيرون التشكيك فى نظريات «ابن خلدون » وادعوا أنه عرف فكرا يونانيا أو رومانيا ، ولكن جميع الدلائل تثبت أن « ابن خلدون » هو ابن الأسس التى رسمها القرآن لقيام الأمم والحضارات وسقوطها : هذه الأسس التى تطورت من خلال علماء مسلمين كثيرين حتى استوت على النحو الذى قدمه (ابن خلدون) •

---

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .
(٢) سورة البقرة الآية ١١١ ، سورة الأنبياء الآية ٢٤ .

وأينما توجه نظرك فى مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تجد الأصول الإسلامية هى الأساس ، فما كان لدى الغرب عند ظهور الإسلام أو عند العالم كله شىء سوى شذرات من الفكر الوثنى والأساطير ، بعد أن انفصلت الأمم عن كتب السماء وعارضتها ، وأعلت من شأن الفكر الإغريقى الذى كان يسمى (علم الأصنام) أو الفكر الغنوصى الشرقى الذى شكلته المجوسية والباطنية وفكر الهندوكية والفرعونية والبوذية ، وكان ميراث التثليث القديم مسيطرا عليها أو ميراث الثنائية (النور والظلمة) ، أو مفاهيم « أخناتون » فى عبادة إله الشمس بديلا من مجموعة الآلهة حتى أطلق عليه (التوحيد) تضليلا ، حتى جاء الإسلام فصعقت له كل هذه الآلهة المبطلة والوثنيات وعبادة النار وعبادة الأجساد ، وحرر النفس الإنسانية من الوثنية وحرر الإنسان نفسه من عبودية الحضارات والأباطرة ، يقول أرسطو وأفلاطون إن الرق شىء مقدس وأنه أساس لكل الحضارات وأن الرقيق لا يمكن أن ترقى إلى مكانة السادة الجالسين فى القمة .

ولذلك فنحن حين نقول إن القرآن هو الذى أنشأ العلم ، وأن العلم الذى يعيش فيه العالم الآن مدين له وحده بهذا العطاء الضخم ، الذى أدخل البشرية فى عصر التحولات الخطيرة والتكنولوجيا ، ولو أن الغرب حين أخذ منهج التجريب أخذ معه مفهوم الحضارة الإسلامية (الرحمة والعدل والإخاء البشرى) لما وقعت البشرية فى أزمتها التى تعتصرها الآن وتذيقها ألوان الاضطراب والتمزق ، ذلك أن خطيئة الغرب أنه أخذ العلم التجريبى وفصله عن المنهج الإنسانى الذى شكله القرآن فتحول سريعا إلى مادية عسرة شاقة ، هى شطر النفس الإنسانية المشكلة من المادة والروح ، ولذلك فإن هذه الحضارة قد جهلت المصدر الأول وأنكرته وتعالت عليه ،

ونسيت الخالق الصانع ، وأطلقت اسم (الطبيعـــة) عليه وهو فى الحقيقة صانع الطبيعة ومنشئها من العدم ، لقد فقت الحضارة الغربية اليوم : ذلك البعد الربانى الذى هو دعامة البقاء ، وبذلك وضعت نفسها فى موضع الحضارات السابقة الخارجة عن منهج الله والتى توعدها الله تبارك وتعالى بالتدمير •

« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله محاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا »(١) •

(١) سورة الطــلاق الآية ٨ ، ٩ .

الانطلاق

إن أهم الأسباب التى عملت على عجز المسلمين عن الخروج من أزمة التخلف هى الاستسلام إزاء الغزو الفكرى وقبول التبعية والتقليد والانبهار بحضارة الغرب •

لقد تنبه المسلمون للخطر عندما احتلت الجزائر ١٨٣٠ ، وتحرك بعض المفكرين المسلمين لبحث هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة احتلال الأجنبى لديار الإسلام ، وقام الإمام « محمد على السنوسى » بالعمل على مواجهة الأزمة ، فقام بعمل ايجابى واضح الدلالة فى إعادة بناء أجيال الشباب على الفداء والعمل ونشر الدعوة الإسلامية ، وتجربة الزوايا السنوسية واضحة ومعروفة ، وإذا كانت هذه التجربة قد قامت فى محيط البلاد العربية أو شمال إفريقيا ، فإن التجربة التى سبقت فى الهند والتى قادها الإمام « أحمد بن عرفان » قبل ذلك ١٨٢٠م كانت تمثل المواجهة للغزو الغربى لعالم الإسلام •

وكان الإمام « محمد بن عبد الوهاب » (١٧٤٠ م) قد أعلن دعوته إلى تحرير العقيدة الإسلامية من مفاهيم الجبرية الصوفية كمنطلق حقيقى لتحرير المسلمين من النفوذ الأجنبى •

وتوالت الدعوات فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى للخروج من الأزمة ، غير أن النفوذ الأجنبى كان قد أحكم نفوذه فى البلاد ، وطالت المعركة التى لم تكن فى يوم من الأيام تمثل استسلاما للاحتواء أو الانصهار فى بوتقة الغرب ، غير أن قدرة النفوذ الأجنبى فى البلاد التى احتلها أدت إلى تغيير ثلاث معالم أساسية فى

المجتمعات هى : التعليم ، الاقتصاد ، القانون وكان لهذا التغيير الأثر فى تشكيل الأجيال الجديدة التى تقبلت الحضارة الغربية ، وجهلت جوهر الإسلام الحقيقى •

وكان أخطر ما هنالك تلك الدعوة التى انطلقت من معسكر الموالين للنفوذ الأجنبى وهى أن تقليد نظام الغرب هو الوسيلة الوحيدة للتحرر من هذا النفوذ • وقد كذبت الأحداث هذه الدعوى التى لم تحقق إلا مزيدا من الاحتواء والتبعية •

ولقد كان الظن أن الغرب وقد استيقظ عندما أخذ بالمنهج التجريبى الإسلامى ونقل مذهب « مالك » وأقام فكره الجديد عليهما ، أنه ربما يكون أخذنا بالفكر الغربى ليس إلا بمثابة استرداد بضاعتنا ، هكذا فهم « رفاعة الطهطاوى » فى مصر و « خير الدين التونسى » فى تونس عندما زارا الغرب أوائل القرن التاسع عشر وأعجبا بالحضارة ، ولكن المسألة لم تكن بهذه البساطة ، فإن الغرب قد صاغ كل ما أخذه من الإسلام سواء فى مجال العلوم التجريبية أو الاجتماع والاقتصاد والقانون ، قد صاغه فى بوتقته اليونانية الرومانية المسيحية القديمة ، واستفاد منه دون أن تتغير ذاتيته الخاصة ، ولكننا نحن مع الأسف عندما أخذنا من الغرب تحولنا عن طابعنا المتميز وكدنا نفقد ذاتيتنا ، وذلك نتيجة الانبهار بحضارة الغرب وقبول التبعية •

التحـــول :

لم يستسلم المسلمون أمام النفوذ الأجنبى وقاوموه ، غير أن الغزو الفكرى الذى حاول السيطرة على القانون والتعليم والاقتصاد كان عميق الأثر فى تعويق المسيرة نحو الخروج من الأزمة ، فقد مضى وقت طويل حتى عرف المسلمون أن النهوض فى الأمم لا يكون

بمناهج وافدة من أمم أخرى ، ولا من الأمم المسيطرة أساسا ، ولقد كان للمسلمين تاريخ طويل فى مواجهة الأزمات ومحاولات الاحتواء قوامها (العودة إلى المناهج) واستلهام منهج الإسلام نفسه القادر على إخراجهم من المواقف الحرجة ٠

فكان اصطناع أسلوب الغـرب فى مواجهـة الأمور — على مقاييس تختلف عن مقاييس الإسلام ونواميسه التى رسمها فى بنـاء الحضارات والأمم ثم قيامها مرة أخرى إذا عادت إلى منهج الله — سببا فى استمرار أزمة التخلف ولقد كان النفوذ الأجنبى قادرا على تحقيق هدفين أساسيين حالا دون الخروج من الأزمة بعد ذلك :

أولا : القضـاء على الوحـدة الإسلامية الفكرية وذلك بإثارة الخلافات الخاصة بالقوميـات أولا ثم إثارة الخلافات المذهبيـة وإحياء الفرق القديمة ٠

ثانيا : فرض مناهج فكرية وأيدلوجيات تخالف مفهوم الإسلام فى قضيا السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية ٠

كل هـذا عوق المسيرة إلى الخـروج من الأزمة ، وأطال أمد الاحتواء ، غير أن التجارب التى قامت على اعتنـاق هذه المذاهب والأيديولوجيات كلها أثبتت عجـزها عن العطاء الحقيقى لأشـواق النفس المسـلمة التى تشكلت خـلال أربعة عشر قرنا على منهـج القـرآن ٠

كذلك فقد طرح الاستشراق شبهات كثيرة بهدف تزييف مفهوم الاسلام الأصيل ، والقضاء على مفهومه الجامع للعلاقتين بين الله والإنسان والمجتمع ٠

ولقد كانت التجربة التى مر بها العالم الإسلامى فى بعض بلاده لتطبيق منهج الغرب ، وفشل هذه التجربة قد فتح الطريق أمام حقيقة أساسية : هى أن الأمم لا تستطيع أن تدخل مرحلة النهضة إلا من خلال منهجها الأصيل الذى تشكلت عليه •

ولما كانت الأمة الإسلامية قد تشكلت على منهج جامع بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة فإنها لن تستطيع أن تحقق ذاتها وتبنى كيانها إلا من خلال منهجها ، ولا يستطيع أى منهج وافد أن يحقق لها هذه الغاية ، من حيث اعتماد مناهج الغرب على النظرة المادية ، وخلوها من البعد الإلهى فى بناء الحضارة والبعد الأخلاقى فى حركة المجتمع •

الغـاية :

مرت حركة اليقظة الإسلامية بمراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : هى الدعوة إلى تحرير العقيدة من قيد التقليد •

المرحلة الثانية : هى الدعوة على المحافظة على الذاتية الإسلامية من الاحتواء •

المرحلة الثالثة : هى التحرر من التبعية للمناهج الوافدة •

وقد كان تصحيح النظرة إلى الحضارة الغربية هى المنطلق الحقيقى للخروج من دائرة التخلف ، فالمسلمون يؤمنون بأن لهم « أسلوب عيش » خاص بهم يختلف عن أسلوب عيش الغرب ، ويؤمنون بأن الثقافة قومية ، والمعرفة عالمية ، وأن أدوات الحضارة هى أدوات صماء يمكن شغلها بوجهة النظر الخاصة بالأمة ، فليس قبول أدوات الحضارة يعنى بالضرورة القبول بثقافات الأمم التى

صنعتها ، والمسلمون ينظرون إلى الفكر العالمى والإنسانى نظـرة متفتحة ، فهم يدرسون تجارب الأمم ، ويستفيدون منها ، ويقبلون التنظيمات ولا يقبلون النظم ، وكل ما ينقلونه إلى دائرة فـكرهم يكون بمثابة « مواد خام » يشكلونها على النحو الذى يتـلاءم مع فهم فكرهم ،

والنظرة الإسلامية قائمة أساسا على التوحيد والإخاء البشرى والرحمة ، ولهذا فان منهجهم وعقيدتهم ربانية المصدر ، انسـانية الهدف ، عالمية الغاية ، ولقد أعطاهم الإسـلام منهج المعـرفة (ذى الجناحين) الجامع بين الروح والمادة والعقـل والقلب ، والدنيـا والآخرة ، ويفهمون مسئولية الإنسان فى الحياة فهما واسعا ، قوامه السعى فى الأرض وتعميرها ، من خلال المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والإيمان بالبعث والجزاء الأخروى •

هذه النظرة تجعل المنهج الإسلامى أشد رحابة وسعة وسماحة من المنـاهج الوافـدة ، وفى الإسـلام تتـكامل النظـرة بين القيم ولا تفترق ، ومن هنـا فإن حاجة المسلمين إلى الحضـارة المعاصرة هى حاجته إلى العلم والتكنولوجيا ، حتى تتمكن الحضارة الإسلامية التى قدمت للبشرية المنهج التجريبى من استئناف العطاء ، ويستطيع الإسلام اليوم أن يخرج البشرية من أزمتها ويحررها من عبوديتها المادية ، ولما كانت الحضارة الغربية قد وصلت إلى مرحلة المحاق ، وعجزت عن العطاء ، وطالب العالم كله بنظام جديد فإن الإسلام هو النظام الوحيد القادر على إسـعاد البشرية ، ويشهد بذلك عشرات من مفكرى الغرب أنفسهم •

ولا خوف من نماء الفكرة الإسلامية وتوسعها فذلك هو المنطلق الحقيقى لمنهج استطاع أن يسعد البشرية ألف عام ، ولم يكن تخلفه

أو قصوره إلا نتيجة سنن الحضارات والمجتمعات نفسها فى التحول ، وقد تبين اليـوم للمسلمين أن « العودة الى المنـابع » هى المنطلق الحقيقى لتحررهم من التبعية لمذاهب الغرب بشقيه .

فإذا كانت الحضارة المعاصرة تتقدم الى طريق مسدود وتواجه نفس الظروف التى انتهت إليها الحضارات الرومانية واليونانيـة والفارسية والفرعونية القديمة وهى الانبهـار (نتيجة الاسـتعلاء بالعنصر واستعباد الفرد وتجاوز حدود الله) . فإن البديل الوحيد الحقيقى هو الإسلام القادر على العطاء .

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول إن مرحلة تخلف المسـلمين تتطوى حثيثا ، وتترك من ورائها قاعدة أساسية لقيـام المجتمـع الربانى الذى تتطلع إليه البشرية .. وقد جاء موعده .

إعادة كتـــابة العلوم ودوائر المعـــارف

اعتقد أن الصحوة الإسلامية قد أخذت تدخل مرحلة جـــديدة يمكن أن يطلق عليها مرحلة تحرير المفــاهيم من المصــادر الوثنية والمادية والعلمانية ، ويبدو هذا واضحا من اهتزاز محاولات احتواء الفكر الإسلامى بعد أن ضربت التيارات الثلاثة : العلمانية والماركسية والقومية ، وتعرية أهداف الاستشراق ، وانكشف الدور الخطـــير الذى تقوم به خطة التغريب والغزو الثقافى فى مجـــال الصحـــافة والثقافة ومناهج الدراسة فى الجامعات والمعـــاهد ، وخاصة بالنسبة لما أطلق عليه (علوم) النفس والأخلاق والاجتماع ، وهى فى حقيقتها ليست إلا فرضيات قدمها علمـــاء غربيون فى مواجهـــة تحـــديات مجتمعهم ، ثم نقلت إلى أفق العالم الإسلامى فلم تجد قبولا ولم ينتج غراســـها .

ويترجم اليوم الفكر الإسلامى بأصالته مفاهيم الفكر الوافد فى كل مكان ، وتتســـاقط الأســـماء المغرية كأوراق الخريف بعد أن تكشفت هويتها ، ولم يعد يصدقها أحد فيما تقـــول أو يثق فيمـــا تعرضه ، هذا بالرغم من ضعف وسائل حركة الصحوة الإســـلامية وصحفها المتواضعة ، وتصاعد منابر التغريب وتوسعها وقدرتها على حجب الحقيقة وتجاهل الرأى المخالف ، وحماية كيانها من النقد أو المساجلة بغية إظهار الحق ، وظهور ذلك القدر من اللجاجة والمناورة والخداع على ألسنة أصحاب الباطل للدفاع عن موقفهم المنهار .

إن قوى الغزو الثقافى والتغـــريب التى تمكنت فى الصحـــافة والجامعة ومؤسسات الثقـــافة والفن والمسرح وأدوات التســـلية والترفيه ما تزال قادرة على أن تبث سمومها على أوسع نطـــاق ، ولكن الأصالة التى أخذت تتمكن فى النفس المسلمة وتعمق ، لم يعد

يخدعها بريق الحضارة بترفها وكشفها وحوار مسرحياتها النـــازل والمفاهيم المسمومة التى تجرى على ألسنة أبطالها • لقـــد اتســـع الوعى الثقاف الإسلامى ووضح ، بعد مراجعته لنظـــريات (دارون وفرويد وماركس وسارتر) ، واقتناعه بأن النظرة المادية إلى التاريخ والتراث ليست أصيلة ، وأن الإسلام له علم اجتماع وعلم نفس ، ونظرية فى الأدب ومنهج فى الاقتصاد ، وأسلوب فى التربية يختلف اختـــلافا واضحا عن أسلوب الغرب الوافد ســـواء كان ماركسيا أو صهيونيا أم غربيا ماديا •

لقد وضح الآن أن هناك نظرية فى العلوم تستمد منهجهـــا من الدين وان أخفت ذلك ، ومصـــدرها العقـــائد القديمة والموروثات والأساطير القديمة التى تجمعت هنا وهناك ، وأن ما يدعى المنهج العلمى الغربى فى البحث ليس فى الحقيقة إلا المنهج الإسلامى الذى حرف ودخلت إليه مفاهيم النحل والملل ، فصـــار هنـــاك علم نفس مسيحى ، وعلم نفس يهودى ، وكذلك الأمر فى العلوم الإنســـانية التى اعتمدت نظريات الخطيئة الأولى ، ونظرية عبادة الجســـد ، ونظرية حيوانية الإنسان ونظرية الصدور عن الجنس أو المعـــدة فى وجهة الحياة (على النحو الذى نراه فى فرويد وماركس) وهذه كلها تختلف مع الإسلام تماما ، سواء فى نظرته العامة كمنهج جامع يحمل طابعى الروح والمادة ، والسماء والأرض ، والدنيا والآخرة أو فى مفاهيمه الخاصة حول رسالة الإنسان فى الحياة ونظرته إلى الكون وقوانينه فى قيام الأمم والحضارات وسقوطها •

واعتقـــدت بعد أن أسقطت الصحوة الإســـلامية (التيـــارات الثلاثة : القومى العلمانى والماركسى) وكشفت عن أنها انشطارية ، وأنها لا تمثل جوهر النفس الإسلامية ، أن الطريق قد انفتـــح تماما أمام الحقيقة الربانية المصدر الإنسانية الجوهر التى قدمها الإسلام

والتى غفل عنها الناس خلال الأجيال حتى أوفت الحضارة الغربية المادية تجربتها الضخمة وتبين لأهلها أولا فساد هذه التجربة التى انحرفت عن منهج الله ، والتى جرت شوطا طويلا ضد التيار وتجاهلت خالقها ، وأنكرت وجهته ، وغفلت عن البعد الأخلاقى للمجتمع والبعد الربانى للحضارة ، وكان من الضرورى أن ترتطم بقانون الله فى الكون والحياة والأمم ، إن الأمم التى عتت عن أمر ربها وخالفت قواميسه ستسقط حتما ، وهذه علامات الغروب واضحة فى كل تصرفات هذه الحضارة ولا بديل عن طلوع الفجر فى موعده .

إن الإرهاصات بعصر (خلافة على منهج النبوة) الذى بشر به الرسول الأمين تتعدد . هذه الصين (ألف مليون) تعلن سقوط مذهب « ماركس » وعجزه عن العطاء بعد تجربة خمسين عاما ، هذه نظرية « دارون » عن التطور المطلق تواجه بالحفريات التى تثبت أن الإنسان منذ وجد وقامته قائمة ، وأن عنصره كان مستقلا عن العناصر المختلفة ، هذه الدلائل التى كشفت زيف دعوى تحرير المرأة وأنها كانت مؤامرة عليها ، واليوم تعود المرأة إلى مفهوم الإسلام ، المسلمون يعودون إلى الأصالة من خلال منهج التربية والشريعة والاقتصاد ويحاولون أن يسدوا النقص الثقافى فى مناهج التعليم .

وها نحن والاستشراق يتراجع ويحاول أن يقدم دائرة معارف إسلامية جديدة يخفف فيها حملات دائرة المعارف القديمة ويستكتب لها بعض العرب بدلا من متعصبى الاسشراق ، من تلاميذهم وأتباعهم ، ولكن ذلك لن يكسبهم ما فقدوه من ثقة الناس بهم إن حملات « جولدسيهر » و « شاخت » على الشريعة الإسلامية ، و « مرجليوث » و « لامنس » على ياريخ الإسلام والرسول لا تنسى لقد عادت الكنيسة الكاثوليكية لتعترف بخطئها مع (جاليلو) الذى تأكد له صدق النظرية الإسلامية من أن الأرض تدور حول

الشمس ، مخالفا بذلك الاعتقاد الشائع بأن الأرض هى مركز الكون ، وأن الشمس هى التى تدور حول الأرض •

لقد كانت فكرة التغريب هى (احتواء الإسلام — عقيدة وفكرا وتاريخاً) داخل دائرة المفهوم الغربى ، وتفسير الإسلام بمفاهيم الثقافة الغربية المسيحية الرومانية اليونانية التى تسود واجهة الحضارة والفكر الغربى منذ أخذ الغربيون علوم الإسلام وخاصة التجريب وقانون بقاء الأمم وسقوطها وقانون المعرفة ذات الجناحين هذه هى المحاولة الخطيرة التى استمرت الآن ثلاثة قرون أو أكثر وتشكلت لها أجهزة ومؤسسات : أهمها التبشير والاستشراق •

كانت الفكرة هى حرب الكلمة ، وكان الهدف هو تأويل الإسلام تأويلا مسيحيا غربيا ماديا لإخراج الإسلام من جوهره الأصيل ومفهومه الجامع بوصفه حامل لواء التوحيد الخالص (إسلام الوجه لله تبارك وتعالى) وإقامة المجتمع الربانى على الأيدلوجية (المنظومة التى قدمها القرآن كاملة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية) •

كان الهدف تحطيم هذه القاعدة وإبقاء الإسلام (دينا لاهوتيا) (عبادة وصلاة) أما الجانب الاجتماعى فى بناء المجتمع فقد دعانا الغرب إلى اقتباس منهجه وأسلوبه وأيدلوجيته ، ونقل المسلمون هذه الأنظمة وثبت فشلها ، ثم جاءت الدعوة إلى الماركسية تحت اسم الاشتراكية ، ونقل المسلمون مضامينها ، وفشلت هى الأخرى ، فشلت التجربة الغربية فى أن تعطى النفس المسلمة أشواقها ومطامحها ، ذلك لأن المسلمين كانوا قد سبقوا هذه المذاهب (المسماة (بالاشتراكية — العد ل) و (بالديمقراطية — الشورى) تضليلا) منذ أربعة عشر قرنا حين حملوا إلى البشرية منهج الله

الجامع الذى يستحيل أن يعتوره النقص أو يدخل إليه التحريف أو يتأثر من متغيرات البيئات وتقلبات العصور ، فيحتاج إلى الإضافة والحذف على النحو الذى جرى للديمقراطية والاشتراكية •

وما كان للمسلمين إذا وعوا (منظومتهم الجـــامعة) أن يقبلوا ما هو أقل منها ، صراع الطبقات أو استعلاء أصحاب رءوس الأموال ، أو حرية غير منضبطة أو إعلاء للجنس أو المعدة •

ومن هنا فقد كانت أولى مراحل حركة اليقظة :

أولا : تأصيل القيم وتحرير المفاهيم وإعادة روح الإســـلام الى المصطلحات المتداولة ، وإبراز مفهـــوم الإســـلام فى عشرات القضايا المطروحة على الساحة : سياسية واجتماعية واقتصـــادية •

ثانيا : الكشف عن دور الإسلام البناء فى إقامة دعائم الفـــكر الإنسانى والعالمى المعاصر من حيث عطائه فى مجال المنهج التجريبى (أســـاس الحضارة المعـــاصرة) ومنهج المعرفة ومناهج التـــاريخ والاجتماع وقانون الحضارات •

ويمكن الآن أن نقول إن مؤامرة التغريب قد أصيبت بشرخ كبير ، ولذلك فإننا فى مرحلة تحتـــاج إلى صمود متصـــل وثبـــات فى مواجهة المؤامرات الجديدة ، التى تحاول أن تلبس ثوبا يكسب رضـــا الذين لا يحيطـــون بأبعاد المخطط ، وهو أن يستبدل كتاب التغريب الغربيون ، الذى تبين تعصبهم وحقدهم وفساد وجهتهم ، بكتاب عرب لهم ولاء يخفف من حدة الخصومة ، وذلك حتى يثنوننا عن إلغاء مراجعهم ، وربما استخدموا ألفاظ الصحوة واليقظة ، وربما دعوا إلى مؤتمرات بهدف امتصاص طموح الراغبين فى الأصالة ، وكل هذه محـــاولات فاشلة يجب أن نتنبه إليها ، وأن نمضى قدما فى أن

ننشىء دائرة معارفنا الإسلامية الأصيلة ومراجعنا ، وأن ننحى تلك الدوائر المسمومة ولا نعترف بها ولا نعتمد عليها .

إنهم يطالبون بأن تسمى هذه الخطوة (إضافات) ولكن الحقيقة أنها إنشاء من البدء وتصحيح لأخطاء قامت على أساس (الفكرة المسبقة) فى مواجهة الإسلام والتشكيك فى قيمه .

لقد ثبت تماما أن دوائر المعارف التى كتبها المستشرقون والمبشرون ، وترجمت إلى اللغة العربية تحمل من السموم ما يفسد أى نص أو مادة من المواد ، حتى المواد التاريخية نفسها أصابها هذا الفساد ، فهذه أعمال يجب أن يستغنى عنها المسلمون تماما ، وأن تقوم مصادرهم الأصيلة بتقديم هذه المواد ، وألا يستعان بأى اسم من الأسماء الشعوبية أو التغريبية أو الماركسية فى إعداد هذا العمل ، ولنحذر من عملية أنصاف الحلول : تقديم قوانين ليست ذات مصدر إسلامى أو دوائر معارف تقوم فى مصدرها الأول على غير مفاهيم القرآن والسنة . إننا نقوم بذلك وفى تقديرنا مسئوليتنا أمام شباب أمتنا المسلم أولا ، الذى خدع طويلا بالمراجع الغربية (دائرة المعارف ، المنجد ، الموسوعة العربية الميسرة ، الموسوعة الإسلامية الميسرة (أخيرا) ، ولنعلم أن المنه جالعلمى الذى قامت عليه هذه الموسوعات زائف ومضلل وقائم على الرأى المسبق بالخصومة والخلاف والتعصب ، وعلى الأقل فهو يقوم على تصور كتاب الموسوعة الذين يقتصر فهمهم على تراث اليهودية والمسيحية ، دون إلمام — أقل إلمام — بمفهوم الإسلام أو لغته أو قرآنه أو تاريخه إلماما صحيحا ، أما مسلمو الغرب وأوربا فهم آخر من ينتظر منهم أن يعتمدوا على دوائر المعارف الإسلامية الغربية وهم يعلمون فسادها وتزويرها .

لماذا لا يكون الأدب العربى المعاصر عالميا

يتساءل الكثيرون عن سر ضعف الأدب العربى المعاصر وتخلفه وعجزه عن التجاوب مع مجتمعه ، والسر فى عجزه عن أن يكون عالميا ، وفى الإجابة عن ذلك نقدم هذه الملاحظات :

أولا : أن الأدب العربى فى هذه المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعى بوصفه « وحدة » من وحدات الفكر الإسلامى بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون وبما اصطنع من أساليب غربية من ناحية الأداء .

ولذلك فإن الإنتاج الأدبى القائم الآن بين أيدينا لا يمثل حقيقة المشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ، كما أن أسلوب أدائه غريب على الأدب العربى لأنه يخضع للنظرية المادية التى وضعها (برونتيرو ، تين ، سانت بيف) استمداداً من نظرية التفسير المادى للتاريخ والفلسفة المادية التى تعتبر الأنسان حيوانا سواء من ناحية الطعام (الماركسية) أو من ناحية الجنس (الفرويدية) .

ثانيا : أن مترجمات الأدب العربى إلى الآداب الأوربية التى تمت فى العقدين الأخيرين لا تمثل حقيقة الأدب العربى ولا أشواق النفس العربية الحقيقية ، لأن هناك تحيزا فى الانتقاء والاختيار تحت عنوان (بضاعتنا ردت إلينا) فإن هوى المترجمين هو أن يثبتوا أن الأدب العربى قد خضع تماما للمفاهيم الغربية وللأساليب الغربية أيضا .

ثالثا : أن المصطلحات التى تستعمل الآن فى الأدب العربى دخيلة عليه وغريبة عنه ، فهو يحاول أن يخضع لأطوار الأدب الغربى

التى تتنقل بين الكلاسيكية والرومانتيكية ، ومن السريالية إلى الوجودية ، وهو الآن يحاول أن يقف فى خضوع أمام النظرية الجديدة الطاغية عليه وهى البنائية أو البنيوية ، كما أن الأدباء خضعوا لمسميات كثيرة (كعصر التنوير) وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربى ، بينما يمثل عصر التنوير هذا فى أوربا : العصر الذى سيطرت فيه التحولات التلمودية التى عملت على هدم صروح المدرسة المسيحية المثالية من أجل إقامة مفاهيم الإلحاد التى قادها (فولتير وروسو وأصحاب الموسوعة) وكان ذلك مقدمة لإشعال الثورة الفرنسية التى حطمت قواعد الوحدة المسيحية « الغربية » ، وفتحت لليهودية والصهيونية الطريق إلى السيطرة على المجتمع الغربى وتحطيم النظرية الجامعة بين الدين والقومية بتغليب الجنسية وإسقاط مفهوم الدين .

رابعا : مفهومنا الأصيل للأدب العربى أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامى يقوم على قيم الإسلام العليا : التوحيد ، والأخلاق ، والعدل ، والإخاء الإنسانى ، وهى القيم التى قام عليها مفهوم الأدب العربى بعد الإسلام ، ثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية ، فالأداء العربى الآن يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربى الممتد خلال العصور ، والذى وصل على أيدى (البارودى وشوقى والمنفلوطى والزيات والرافعى) إلى قمة عالية ، فهو الآن ينحدر إلى لغة الصحافة أو ما يسمى باللغة الوسطى .

كذلك فإن الشعر ينحرف الآن إلى قصيدة النثر والشعر الحر ، ويتدلى إلى مفاهيم مكشوفة ، وأداء عربى ردىء .

أما القصة فإنها تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الآداب

الغربية ولا تمثل النفس العربية المسلمة أبدا ، وهى تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على أنهـا علاقات طبيعيـة فى المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهو ما يجرى عليه أغلب كتاب القصة ، الذين يصـدرون أساسا عن مفهوم علمانى لا يؤمن بقيم الدين الحق ، وثنى يعلى من من نظرية عبادة الأجساد ، مادى لا يقر بوجود المسئولية الفردية ولا الأخلاقية ولا الجـزاء الأخـروى ، هذا النتـاج كله باسـم الأدب العربى بوصفه فرعا من فروع الفكر الإسلامى ، وإنما يمثل انحرافا طرأ على الأدب العربى بدخول المذاهب الوافدة عليه وعلى المجتمع أيضا ، ومن هنا فإن هذا الأدب القائم يتمثل فى منبعه وأصله سواء من ناحية الأداء أو المضمون ، أو من ناحية تاريخ الأدب أو النقد الأدبى .

وأخطر ما هنا لك هو تقبل النظرية المسمومة التى تقـول بأن الأدب العربى له استقلاله عن الفكر الإسلامى ، وله حريته فى مجال الأداء دون اعتبار للمسئولية الأخلاقيـة والحدود والضوابط التى قـررها الإسـلام للمجتمـع وهذه أخطـر السـهام المسـمومة التى أصابت الأدب العربى اليوم فضـلا عن تبعيته فى مصطلحات العصور والعناصر .

سادسا : أما أن الأدب العربى جدير بأن يكون عالميا فذلك أمر لا سبيل إلى إنكاره ، فهو بطبيعته التى يستمدها من الإسلام يمثل المشـاعر النفسية السـمحة المستعلية على الخطيئـة والجـريمة والإباحة ، كما يمثل التسامى من الأنانية إلى الغيرية ، ومن الفردية إلى الجماعية والتى لا نفقد معنوياتها فى سبيل رسالة التقدم المادية وحدها ، هذا الأدب الذى يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، والمندفعة فى سبيل السعى والكسب والعمران لتحقيـق المجتمـع

الربانى ، جديرة بأن يكون إنتاجها الأدبى عالميا ، لأنه انسانى بطبعه وخليق بأن يصل إلى كل النفوس المشوقة إلى الإيمان والعدل والإخاء ، ولكن هذه الرحلة من الأدب العربى لم تبدأ بعد ، ونرجو ألا تتأخر كثيرا .

سابعا : كذلك فإن الفكر الإسلامى اليوم هو القادر على تقديم رسالته الإنسانية إلى العالمين ، لأنه قد تحرر من التبعية وانطلق إلى آفاق العدل والرحمة والإخاء الحقيقى .

ولقد كان الفكر الإسلامى فى إبان الأزمات التى لحقت بالمسلمين قادراً على العطاء أكثر من الأدب الغربى ، الذى مازال غارقا فى أوهام الاحتواء والتبعية ، والذى لم يستطع بعد أن يكتشف الأخطار والتحديات التى تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذى تفرضه القوى الاستعمارية ، وخاصة خطر التحدى الصهيونى المتسامى .

إن قدرة الأدب العربى على الدخول فى مجال العالمية لا تكون بالتبعية للمذاهب الغربية ، وإنما تكون بالتماسه مفهوم الإسلام ، واليوم وقد برزت مدرسة الأدب الإسلامى وقدمت منهجه ووضحت رسالته فإن على الأدب العربى أن يخرج من دائرة الاحتواء الغربى المسيحى واليهودى والماركسى ، ويدخل فى دائرة الأصالة الإسلامية .

إن هؤلاء الكتاب الغربيين الذين ينقمون على المؤمنين إيمانهم ، إن فى قلوبهم إلا كبر ما هم ببالغيـــه ، فهم ينزعجـــون حين يرون الصحوة الإسلامية تنمو وتمتد لأنها دعوة الحق التى ستقضى على باطلهم ، الذى ظلوا يروجون له تحت اســـم العصرية والحـــداثة والتقدم واليسار ، فهم يدعون أنهم يفهمون الإسلام وأنهم قادرون على النظر فيه وتقديم الرأى فى مسائله وقضـــاياه ، وقد جهـــلوا أمـــرين :

الأول أنهم نشأوا فى أحضان العلمانية ومفاهيم الغـــرب التى تتحدث عن الخلاف بين الدين والعلم وبين صراع مفـــاهيم قديمة ومواريث مختلطة وبين مفهـــوم النظرية المادية ، وينقلون إلى جو الفكر الإسلامى هذه القضايا وهذا الصراع ، وهم يؤمنـــون أنه باطل وزائف ، ولكن وظيفتهم إثارة الشبهات فى النفوس ، وخلق روح التشـــكيك والســـخرية بكل القيم الصحيحة ، على هذا مضى شيخهم القديم وشيخهم الجديد •

الثانى : أن هؤلاء الكتاب مكشـــوفون تمـــاما للرأى العـــام الإسلامى ، ومعروفة هويتهم وغايتهم ، وتبعيتهم ، والجهات التى يخضعون لها ويتكلمون باسمها ، وهم ساقطون تماما فى نظر الأجيال الجديدة الواعية التى لا يستطيع أن يخدعها أحد ، مهما نشرت لهم الصفحات العريضة فى الصحف الكبرى • ومهما اقتحموا مجـــالا ليسوا بقادرين على عبوره لأنهـــم لا يملكون من أدواته إلا فهمـــاً استشراقيا تبشيريا للإسلام ، ليس هو الإسلام الصحيح ولكنـــه المفهوم الزائف الذى حاول أن يفرضـــه التغريب على هذه الأمة ،

وآية ذلك فساد فهمهم للمصطلحات ، فهم يتحدثون عن الدين وعن التراث وعن الماضى وعن القديم ، فما هو الدين الذين يتحـدثون عنه ؟ ، من القطع أنه ليس الإسلام ، لأن كلمة الدين عندهم تعنى كلمة اللاهوت والعبادة ، وهى تقتصر على مفهوم زائف هو أن الدين عبارة عن صلاة وصوم ومسجد ، وليس الإسلام كذلك فى الحقيقة الإسلام علاقة جامعـة بين الله والإنسان دين الإنسان والمجتمع ، فإذا كانوا يرون أن الدين الذى فهموه فى الغرب يتطور فليس كذلك الإسـلام ، وإن كانوا يرون أن الدين الـذى عرفوه فى الغـرب لا يستطيع أن يمثـل إلا عصره ، فليس كذلك الإسلام ، وإن كانوا يرون أن العـلم قادر ، على أن يدخل على الدين تعـديلا يتفق مع العصر فليس كذلك الإسلام ، ومن هنا فإن فهم هذه اليقظة وحدها كفيل بالفصل فى القضية التى يثيرونها •

إن هذا النظام الاجتماعى السياسى الاقتصادى الكامل الذى يقدمه الإسلام ليس شبيها بالأيدلوجيات الحـديثة التى تخترقهـا المتغيرات وتختلف أوضاعها حسب العصـور والبيئـات ، فهـذه الأيدلوجيات من عمل البشر ، فهى صناعة العقل ، وهى قاصرة لأنها ليست فى حقيقتها إلا تجارب قد تخطىء أو تصيب ، وفروضـا قد تصح وقد تفشل ، وهى تقوم فى نظر صانعها على مواجهة تحديات عصر أو مجتمع ، فإذا جاءت لتحاول تغيير الأضاع فإنها سرعان ما يصيبها العطب وتحتاج إلى الإضافة والحذف وليس كذلك الإسلام •

ألا فليعلم هؤلاء ـ ليريحوا أنفسهم ـ أن الجدار الإسلامى ضخم وصامد وقوى ، ومهما تدافعت معاولهم فإنها ستتحطم ، ومهما اندفعت سهامهم فإنها سترتد إلى صدورهم ، فالإسلام هو كلمة الله تبارك وتعالى التى لا تستطيع أن تقف فى وجهها كل هذه المحاولات والمؤامرات •

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره »(١)

ومهما حاولوا أن يلبسوا مسوح كتاب الإسلام ويصطنعوا شعارات الصحوة فإنهم كاذبون وخادعون ، وإنما يخدعون أنفسهم وما يشعرون .

إن حقائق الإسلام الأساسية قائمة لا يستطيع أن يجادل فيها أحد ، وإن الإسلام عقيدة ومنهج حياة ، وهو منهج ربانى المصدر ، إنسانى الوجهة ، قادر على مواجهة متغيرات الحياة والمجتمعات والأمم إلى نهاية الشوط ، وأنه لم يعجز فى الماضى ولن يعجز اليوم أو غدا عن تقديم إجابات صحيحة وحلول سليمة لكل معضلات الحضارة والمجتمع ، وقد قام منهج الاجتهاد فيه على هذه القدرة ، شريطة ألا يطالب بعض المغرورين بعلمهم والذين يخدمون قوى تريد أن تستبقى نفوذها وحصارها للأمة الإسلامية ، يطالبون بأن يستسلم الإسلام أمام فساد الحضارة وانحرافها فيقبل الربا أو يقبل انحراف المجتمع فى شأن الخمر وبنات الليل وفساد وسائل التسلية وخروج المرأة عن مهمتها ومسئوليتها وضوابط العلاقات بين الآباء والأبناء وبين الرجل والمرأة ، فهذا كله لن يقبله المنهج الإسلامى ولن يقره ولن يبرره مهما طالب هؤلاء بما يسمونه (الاجتهاد فى الأصول) .

إن هذه دعوة مسمومة لا يقرها الإسلام ولا يقبلها علماء المسلمين مهما دعا إليها بعض الطامعين فى مرضاة الأمراء ، إن معنى الاجتهاد فى الأصول هو الخروج عن الحدود الإسلامية الأساسية فى الربا والخمر والزنا والميسر ، وهذه لن يقرها مسلم عاقل ، ولن يقبل الإسلام الذى جاء شريعة للعالمين ومنهجا قائما إلى يوم الدين

---

(١) سورة الصف الآية ٨ .

مثل هذه الدعاوى المسمومة بل ويطالب الإسلام المجتمعات أن تتحرر من فسادها وانحرافها وأن تعود إلى الله •

هذا هو الفرق بين مفاهيم العصريين فى مهمة الدين القادر على التطور مع انحرافات الحضارة والمجتمعات ، هذا الدين بمفهـومه البشرى الزائف ، أما الإسلام بمفهومه الجامع (دينا ومنهج حياة) فإنه لن يقبل الاستجابة لانحراف الحضارة ممها وجد الغرب دعاة من جلدتنا يطالبون بذلك خدمة لبقاء نفوذ من يدعون لهم •

إن الإسلام فيما عدا حدوده وضوابطه التى تختلف عن أهواء التلمودية وعبادة العجل الذهبى ، فإنه مفتوح الأفق أمام قبـول كل ما من شأنه أن يدفع المجتمعات إلى الرقى والازدهار ، ولكن دون أن يقر ما حرم الله •

ماذا يريد دعاة الاجتهاد فى الأصول ؟ هل يريدون أن يهدروا نصا من نصوص القرآن أو السنة ؟ أو يخرجوا هذه الأمة عن عقيدتهـا القائمة على التوحيد الخالص ؟ أو يصهرها فى بوتقة الأممية واتحاد الأديان ؟ ، على النحو الذى تدعو اليه القاديانية أو البهائية (وفق ما رسمته لهم الماسونية من قبل) هل نستطيع أن تقر هذا الأسلوب فى الكسب الحرام الذى نراه يغشى مجتمعاتنا اليـوم تحت اسـم الاجتهاد فى الأصول ؟ ، أو أن نقبل هذا التدمير لثروة المسـلمين فى أسواق النخاسة وموائد القمار تحت اسم ما ينفع الناس ؟ إن الذين يدعون إلى هذه المحاولات ظالمون لأنفسهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، هم ومن يقبلون آراءهم ويروجونهـا لتصل إلى أكبر عدد ممكن فى صدورهم الشبهات وتزلزل عقيدتهم ، وتدمر صلابتهم وتماسكهم فى إطار الحلال وما أمر الله به •

إن محاولة استغلال نصوص فى كتب الفقه والأصول ، على

نحو ما كتب « الباقلانى » « والشوكانى » و« الشاطبى » يجب أن تؤخذ بحذر شديد فهؤلاء كانوا يعيشون مجتمعا إسلاميا مطبقة فيه الشريعة تماما ، ويحاول المجتهدون إيجاد مخارج لبعض المسائل ، أما نحن الآن ، فالأمر يختلف لأننا نعيش على أطراف مثل هـذا المجتمع وهامشه ، وحتى نعيش مجتمع الشريعة المطبقة فإن الأمر يحتاج إلى الحذر والتخوف من دعوات تحملها أقلام لهـا أهداف وأهواء ، فهؤلاء هم أولياء المستبدين والظلمة يحاولون أن يجـدوا دورا جديدا لهم فى هذا الموكب .

إن أخشى ما نخشاه على هذه الأمة هم بائعوا الفكر لكل من يطلبـه وأصحاب الأقلام المستأجرة ، لكل من يرغب فيهـا ، وطلاب المناصب والتبريز فى منابر الأحزاب والصحف ، هؤلاء الذين كلما حدثتهم عن قضية إسلامية قالوا لك إنها ظاهرة عالمية ، إذا حدثتهم عن الصحوة قالوا إن العـالم كله يعـود إلى الدين ، فليكن ولكن الصحوة تطالب بشىء آخر ، تطالب بالعودة إلى تطبيق منهـج الله فى بلاد ظلت تحكم بكتاب الله أربعة عشر قرنا حتى أخرجهـا منـه أصحاب النفوذ الأجنبى وأعوانهم ، وإذا حدثتهم عن قضايا الشباب قالوا لك إن أزمة الشباب أزمة عالمية ، فليكن ، ولكن قضية الشباب فى عالم الإسـلام تختلف وليست داخله مطلقا تحت التعميم الكريه التى يحاوله دعاة النظريات الوافدة . كثيرون أولئك الذين يكتبون الآن باسم الإسلام ، أما الدخلاء فحسبنا الله منهم ، أما الأصلاء فإن أغلبهم يقصرون مفهومهم على القضايا العامة ولا يلتزمون بمنهـج الإسلام فى التطبيق ، سواء على أنفسهم أو بيوتهم أو من يتصلون بهم ، إننا نفقد كثيرا ذلك النموذج القدوة ، الذى يبنى الأجيـال الجديدة ، هؤلاء الذين لا يريدون إلا وجه الله ، وقد هانت عليهم مطامع الحياة وزهدوا فيها .

إننا يجب أن نحرص على اليقظة فى مواجهة محاولة احتـواء الإســلام وحصاره من جميـع الجهات ، هؤلاء الذين يدعون إلى ما يسمى الإسلام والغرب ، والحوار الإسلامى المسيحى ، والذين يدعون إلى وحدة الأديان ، والذين يزيفون التراث وتحاولون أن يسموا (القرآن والسنة) تراثا ، وقديما ، وماضيا ، وهو ليس كذلك إن القــرآن والسنة لا يدخلون فى مقولة التراث ، والذين يرتقــون التاريخ الإسلامى ويجردونه من روحه الدافقة بالإيمان والبـذل والتضحية وبيع الأنفس والأموال لله ، والذين يزيفون اللغة العربية ويهدمونها ويغلبون العاميات ، والذين يرجون للنظـريات الزائفة المسمومة (البنيوية والحداثة) والذين يعالجون المشاكل الاجتماعية والنفسية من خلال برامج وكلمات لا تعترف أبداً بمفهوم الإســلام الذى هو المخــرج الحقيقى من الأزمات النفسية والاجتماعيــة ، يتجاهلونه ويركزون على كتابات المتشككين فى الأديان وفى الروح وفى المعنويات أمثال : ديوى ودوركايم ، إن هناك محــاولة ضخمة للإجهاز على تميز الشخصية الإسلامية يستخدم له بعض المسلمين ، دورا أم لم يدروا ، فهم لا تكفيهم التبعية التى يجرى المجتمـع الإسلامى فيها إلى غاية مجهـولة ، ولكنهم يريدون القضــاء على الجذور : جذور هذه الأمة وتسميم آبار الصحوة الإسلامية حتى لا يعود للمسلمين وحدتهم الفكرية ولا تكاملهم الجامع •

إن محاولة تمييع مفهوم الإسلام وصهره مع الأديان فى بوتقة واحدة من أخطر المحاولات التى تتردد هذه الأيام إن الغرب يعرف تماما أن نهضة المسلمين لا تبدأ إلا من نقطة إنشاء المجتمع الإسلامى على شريعة الله ، ولذلك فهو يقاتل فى سبيل عدم تمكينه من ذلك • إن اعتمــاد حلول الغرب للمشكلات لن يصــل بنا إلا إلى الفشل والهزيمة والتبعية ، ان لنا مقاييس أساسية يدخل المفهوم المعنوى والروحى ، والإيمــان والتضحية والبذل والغــيرية والإحســان فى جذورها ، لقد فشلت العلمانية والقوميــة والاشــتراكية ، مهما جرت المحاولة لإعادة أحدها فهى مرفوضة من الوجدان الإســلامى العميق الجذور بالوحدة الإسلامية •

فى مواجهة الصحوة الإسلامية تتحرك قوى كثيرة اليوم لتعوق هذه المسيرة ، أو تدفعها إلى متاهات ضالة أو دروب مسـدودة ، ويزعجهم أن الإسلام يعود إلى مفهومه الصحيح فى بلاده بعـد أن حرفتـه مؤامرة التغريب أكثر من قرن ونصف قـرن ، وإذا كانوا يشوهون الإسلام فإنهم يقصدون من ذلك أن يرفضه أهله ، وأن لا يصل إلى طلاب الحق فى كل أمة وكل دين وكل عصر ، ومع ذلك فإن أهل الغرب قد فهموا حقيقة الإسلام من خـلال الكتب التى هاجمته وزيفته ، فهم الآن بين أمرين أحدهما مر ، ولذلك فإن مهمتهم أصبحت خطيرة ، ومن ثم يقتحمون الآفاق من جديد لإثارة الشبهات والشكوك فى الحقائق التى تفقأ العيون ، هذه الظاهرة الجـديدة : الإعجاز الطبى فى القرآن ومن قبلها الإعجاز الفلكى والكوكبى ، ومن قبلها انكشاف فساد وجهة الحضارة وهزيمتها على أيدى المنظرين الغربيين أنفسهم لافتقادها البعد الربانى والبعـد الأخلاقى ، وما يقدمه عالم خطير مثل « جارودى » الذى يتحدث عن عجز الحضارة العالميـة عن العطـاء بعـد التصـدع الـذى أصـابها ، وما قـام به « بوكاى » من فتـح أبـواب الكشـف عـن زيف الكتب القديمة وانحرافها ، وما يستطيع الإسلام أن يقدمه للقلوب العاطشة والنفوس المتطلعة ، وما استطاع من قدرة على اقتحـام الوجدان الغربى •

كل هـذا يدفعهم بقـوة إلى قطع الطريق على تطبيق الشريعة والحيلولة دون تمكين الأمم من تحقيق إرادتها والعمل على تشويه النصوص بأيدى مسلمين جغرافيين ، يرون فى عطاء الدنيا القليل المشوب

بالحـــرام دافعا إلى مقـــاومة تصحيح المفـــاهيم المحـــرفة للفكر الاستشراقى ، والهجوم على السنة النبوية والحـــديث النبـــوى ، وتشويه التاريخ الإسلامى وتزييف الاستشهاد به للوصول إلى هدف التشكيك فى صلاحية الشريعة للتطبيق •

هذا فضلا عن الدعوة إلى القضاء على تميز الإسلام والقضاء على ذاتيته الخاصة بالدعوة إلى وحدة الأديان ، فضـــلا عن الدعوة إلى إحياء المذاهب الهدامة والفرق الضالة وإحيـــاء دعوات جديدة كالنبوة الجديدة والبهائية والقاديانية •

كل هذه الحملة المسعورة المشبوبة اليوم بأيدى كتاب لهـــم أسماء عربية وينتسون إلى الإسلام تكشف عن مدى الزلزال الذى يضرب معاقل التغريب ، كما يكشف فى نفس الوقت عن هذا الولاء الخطير الذى يدفع بعض أهلنا إلى محاربة قيم أمتهم ، ومجدها ، من أجل القليـــل الزائل ، الذى يتسلط على النفوس تحت أســـماء الأيديولوجيات والمذاهب البشرية ، والذى يحمـــل الأهواء المضلة المذلة •

وما يجد هؤلاء من جديد يثيرون به الشبهات فى نفوس مثقفى المسلمين ، فما من شبهة من هذه الشبهات إلا طرحت من قبل عن طريق المستشرقين والمبشرين ، ودحضها الأبرار من الدعاة والمصلحين وما من دعوى مدعاة اليوم إلا سبق إليها ذلك الرعيل من المغربين الذين وصفوا بعميد الأدب ، وأستاذ الجيل ، والعلامة المحقق ، حتى يجىء اليوم من يقول إن الإسلام ظاهرة اجتماعيـــة نسجتها الأفكار البشرية ، وأن الإسلام قد اقتحم خارج حدوده فى البحث فى الطبيعيات والكونيات وأن يثير الماديون شبهات حول ما يجهلونه من أمر الوحى والنبـــوة • ومن ذلك التنكر للإســـلام فى مجـــاله

الاجتماعى والاقتصادى ، وإعلاء الفلسفة ودعوة الإسلام أن يخضع للتنظير الفلسفى وأن يسير فى ركاب الفلسفة •

كل هذا يردده كاتب ظالم لنفسه ، يقتحم البحث اقتحاما كأنه يلقى آخر ما عنده من سموم فى وجه المسلمين ، وهو لا يدرى مسئوليته أمام الله وأمام التاريخ حين يضعه فى قائمة الزنادقة والملحدين والضالين ، ولا ينفعه إزاء ذلك اسم لامع ولا صحيفة كبرى ، ولا حماية هيئة ولا اعتناق مذهب ضال • إن طرح هذه الأفكار على هذا النحو فى وجوه المسلمين وفى صحف مقروءة وبهذه الجرأة ، يوحى باضطراب الأعصاب الذى أصاب المراصد التغريبية لفشلها وانهيار خططها ، وهذا التركيز على أن الإسلام يقتحم حدوده ــ على حد قولهم ــ فى البحث فى الطبيعيات والكونيات سببه الانزعاج الشديد الذى أحدثته كشوف الإعجاز العلمى فى القرآن ، والتى أدخلت فى عامين متتالين وفى مؤتمرين متواليين رجلين من كبار رجال العلم إلى آفاق التوحيد ، أحدهما البرفسور « مورسون » الذى تجاهلت الصحافة العلمانية وقفته فى حفل الختام ليعلن شهادة التوحيد ويدخل الإسلام فى مؤتمر القاهرة ، وكذلك فعل الدكتور « تاجاتى باجسون » فى مؤتمر الرياض •

أزعج هذا دوائر التغريب والاستشراق ، فهذا هو الإسلام يعود فيقتحم الوجدان الغربى بعد أن قصر عنه الفكر العلمانى المادى بنظرياته وأيديولوجياته ، وبعد أن تكشفت حقائق كثيرة أهمها : فساد النظرية التى قدمتها كتب عن الخلق والطبيعة والكون ، وصدق القرآن فى عرض هذه الحقائق •

إن القاعدة التى ينطلق منها دعاة الفلسفة المادية التى يضعونها فى درجة واحدة مع الإسلام ، وكبرت كلمة تخرج من

أفواههم ، هى قاعدة مغلوطة فليس الإسلام دينا بشريا على نحو ما درسوا فى الغرب وفهموا من اللاهوت ، وهو شىء مختلف تماما عن ما عرفوه عن هذا العلم ، سواء فى أديان الشرق أو أديان الغرب أو القديم منها أو الجديد ، إنه الإسلام : ذلك المنهج الربانى الذى ظل نصه الموثق محفوظا خلال أربعة عشر قرنا عن أن يعتوره الاضطراب بالإضافة أو الحذف ، وأنه وحده النص المقدس الوحيد الذى سلم من التغيير ، فهو منهج الله تبارك وتعالى إلى البشرية ختاما للدين الذى جاء به أنبياء الله من لدن نوح إلى محمد ، وما قدمه هو ما أرسل الله تبارك وتعالى به أنبياءه ورسله ، فجاء الإسلام خاتما لرسالة السماء ، وجاء محمد خاتما المرسلين ، وجاء القرآن خاتما للكتب ومهيمنا عليها •

وليس الإسلام ظاهرة اجتماعية كما ادعى « دوركايم » اليهودى منذ قريب ، وتابعه فيها عميد التغريب ، وهو ليس كالفلسفة التى هى صنع عقول البشر ، وليس كالأيديولوجيات التى صدمتها المتغيرات فعجزت بالرغم من محاولتها تعديل مسارها ، وهو الإسلام الذى قدم للبشرية منهج الغيب (الميتافيزيقا) التى وصفها « زكى نجيب محمود » بأنها (خرافة) ومازال مصراً عليها ، تقابله الأسئلة فى كل مكان يذهب اليه لتصك فى وجهه وهو يدعى أنه يتحدث عن يقظة الإسلام ، وهل يستطيع من كتب (خرافة الميتافيزيقا) منذ أربعين عاما وعاد مصراً فجددها ، أن يكون بشير خير لنهضة من ينكر أهم أسس عقيدتهم ؟ ، وهل يمكن أن يقبلوا منه ؟

أين هى الفلسفة التى يدعون أن لها منهجا يمكن أن يعطى بديلا عن الدين ؟ الفلسفة الوثنية التى سماها اليونان (علم الأصنام) أم الفلسفة المثالية التى تشرك بالله ؟ ، أم الفلسفة

المادية المعاصرة بفروعها التى تجعل من شهوتى المعـدة والجنس منطلقا لمذهبيها الكبيرين ؟ وأين هى (المعرفة الإنسانية) التى قدمتها الفلسفة وهى مترددة بين تقديس العقل ، وعبادة الجسد ، وثورة الجنس ، والاستعلاء بالعنصر الأبيض ، أو إنكار الوجدان والغيب وغير المحسوس ؟ ، هذه الفلسفة التى لم تستطع أن تسـلم للعلم التجريبى بقبول عالم ما بعد الطبيعة ، ومضت فى صلفها وفسادها لإخضاع الدراسات الإنسانيية لمفاهيم المادة والوثنيات !!

إن الذين يريدون أن يحاكموا الأمور على مفهوم أن الإسلام هو ظاهرة اجتماعية نسجتها الأوطار البشرية ، ظالمون لأنفسهم ، لأنهم يخدعون النـاس أنفسهم ، فليس الإسـلام شبيه بالأديان البشرية أو الأديان التى لم تقبل مفهوم التوحيد الخالص ، وإسلام الوجه لله والالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية والجزاء الأخروى ، ولذلك فإن ما يقال فى أفق الغرب كله يتعلق به وبتجربته الدينية منذ هاجرت المسيحية من الشرق وحرفت فى الغرب ، وخلطت بالوثنية اليونانيية والعبودية الرومانية ، ومن هنا فإن موقف الإسـلام من العلم يختلف تماما ، فإذا كان الدين فى الغرب قد عارض العلم فإن الإسلام هو الذ ىأنشأ العلم فى أفق المسلمين ، وهو الذى دعاهم إلى النظر فى الكون ، وتقديم البرهان ، ومن هنا فإن مقولة القائل بأن الإسـلام اقتحم خارج حـدوده فى البحث فى الطبيعيـات والكونيات ، هذه المقولة تخـرس لها الألسنة ، لأن آفاق الطبيعـة والكون فى القرآن واضحة جلية منذ أربعة عشر قرنا ، وما سجله القرآن عن هذه القضايا جميعها يتكشف اليـوم يوما بعـد يوم ، برحلات الفضاء وكشوف الأطباء فى جسم الإنسـان ، وفى مختلف أمور الخلق والكون والحياة فإذا كان صاحب الدعوى ماديا منكراً للإسلام ، فهو منكر لأن القرآن من عند الله ، ومنكر للوحى ، وكل ما يقوله فى هذا المجال باطل وزيف .

إن محاولة التفسير العلمى للقـــرآن تزعج هؤلاء وســـادتهم إزعاجا شديدا ، وإن الحديث عن الكتب القديمة عن طريق العــلم تروعهم روعا شديدا يرونها بابا واسعا قد فتح لدخول رجال العقل فى الغرب إلى الإسلام بعد أن انتهى عصر (اتبعنى واطفىء مصباح عقلك) ومن هنا جاءت الدعوة الى مطالبة الفقهاء أن يقطعوا الصلة بين النصوص وبين معطيات العلم ليقف الدين عند حدوده اللاهوتية ، هذا فهمهم ، ولكن القرآن يختلف ، وليس للإسلام حدود فهو يملك النظرة الجامعة التى تجعل جميع عناصر الفكر والعلم أجــزاء من كيانه الإنسانى الشامل ٠

« شبابنا المسلم فى وجه الإعصـــار »

كان السؤال عن الظواهر المختلفة التى توحى بأن هناك محاولة عالمية واسعة النطاق لحصار العالم الإسلامى وتطويقه حتى لا يتمكن من الانطلاق فى طريق الصحوة الإسلامية ، والمتتبع للأحداث يجد منها مؤشرات خطيرة يجب التنبيه إليها وكشفها والتعريف بأخطارها ، حتى تبين القوى المضـــادة أن أهدافهـــا مكشـــوفة وواضحة وأن المسلمين قد تجاوزوا مرحلة الغفلة عن المؤامرة ومرحلة الانبهـــار بالدعوات الوافدة .

ومن هذه الظواهر ما يلى :

أولا : ظاهرة البهائية وتغلغلها الصامت فى قطاع من المسلمين وتحولها من الدعوة المباشرة إلى أسلوب المكر والخداع تحت أسماء أخرى فى مقدمتهـــا التقدمية والعصرية ، وقد تكشف فى وضـــوح العلاقات الجذرية والعضوية بين البهائية وبين الصهيونية العالميـــة بوصفها إحدى مفـــرزات الماســـونية العالميـــة بالمحـــافل الأخرى المعروفة ، وإذا كانت أهداف البهائية تتخفى اليـــوم وراء دعاوى عصرية يحمل لواءها أمثال « حسين أحمد أمين » و « زكى نجيب محمود » وغيرهما فإنها فى النهاية تعارض مفهوم الإسلام معارضة تامة وتدعو إلى إلغاء الجهاد وإلى نوع آخر مختلف من الصـــوم والصلاة والحج ، وأنها تقدس الرقم ١٩ الذى يمثل القرن التاســـع عشر الذى ظهر فيه البهاء .

وتكشف الوثائق البهائية ـــ نفسها ـــ قوة ارتباطها بالصهيونية وتآمرها مع الإسلام والمسلمين وقد ظهرت وثائق كثيرة تشير إلى

الرابطة العميقة بين الصهيونية والبهائية ، وقد عاش « عباس البهاء » فى حيفا قبل خمسين عاما وأعلن أن فلسطين ستكون موطنا لليهود ، وترددت تصريحات كثيرة عن أن بين البهائية وإسرائيل روابط ووحدة مصير .

وما كتبه « حسين أحمد أمين » فى دعوته إلى إنشاء برلمان إسلامى يتضمن ترديد أفكار البهائية بصورة أو بأخرى حين يدعو إلى : (١) مساواة الأنثى بالذكر فى الميراث (٢) مساواة شهادة المرأة مع شهادة الرجل (٣) طرح الحجاب الإسلامى للمرأة (٤) تأليف البرلمان من مختلف الأديان والمذاهب والمشارب .

ثانيا : الدعوة إلى النبوة ، وظهور بعض المثقفين البارزين الذين يحملون لواء خداع الناس بأنهم أنبياء جدد ، وأنهم يحملون رسالات ودعوات ، وجود من يصدقهم ويقتنع بهم ممن قصرت ثقافتهم الإسلامية عن فهم حقائق الأديان ورسالات السماء والوحى ، والتيقن بأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

ثالثا : ظهور مجموعات من الأحمدية (التطور الثانى للقاديانية) فى الأرض المحتلة يدعون إلى نبوة جديدة ويقيمون مسجدا يحمل لواء هذه النبوة الجديدة ، وللقاديانية تاريخ فى الدعوة إلى الألوهية والنبوة ، وكانت الأحمدية قد أعلنت انفصالها عن القاديانية خدعة للناس وتمويها حتى يمكنها أن تنطلق فى دعوتها على نحو أقل مغالاة ، وقد كسبت مواقع كثيرة فى بلاد إفريقية ، ولكن الشىء الخطير الجديد هو احتواء الصهيونية العالمية لها أخيرا .

رابعا : جمعية الإسلام والغرب :

وقد انبثقت هذه الجمعية من خلال المؤامرة التى رتت منذ

سنوات للحوار بين الإسلام والغرب من أجل الحصول من كتاب مسلمين ذوى أسماء لامعة على اعتراف بأن المسيحية دين سماوى ، وذلك لإشهارها فى وجوه الراغبين فى الدخول إلى الإسلام من أهل الغرب •

ومن ثم نبتت فكرة توسيع نطاق الحوار بين المسلمين والمسيحيين عن طريق جمعية الإسلام والغرب إلى حوار بين الإسلام واليهودية •

خامسا : ظهور نماذج من الشباب تؤمن بالمفاهيم الوجودية المادية الإلحادية التى ترى فى قتل الأب والأم تخليصا لهم من الحياة فى عالم لا يستحق الحياة يرجع ذلك إلى انتشار عديد من الكتب المسمومة التى ترجمت عن ملاحدة الغرب ودعاة الإباحية والكشف •

سادسا : ظهور طائفة من الشباب تقوم بتقليد أفلام الجنس والجريمة ، وذلك بالتصدى للفتيات والمعابثة والاغتصاب على النحو الذى يجرى فى الأفلام الأجنبية الكثيرة التى تسرف أدوات التسلية والترفيه فى عرضها •

سابعا : انتشار مفهوم التربية الغربى الوافد الذى يتلخص فى إطلاق حرية الفتى والفتاة فى الحياة الاجتماعية وعدم حمايتهم أخلاقيا أو دينيا على النحو الذى يدفعهم إلى مرافقة فتيات أو فتيان تحت اسم الحب والخطوبة الكاذبة واستعمال وسائل الإغراء التى تفقد الفتيات هويتهن وكرامتهن •

ثامنا : انتشار الهروين والمخدرات فى محيط الشباب على نحو مخيف مما يدفع إلى تدمير مجموعات الشباب ، عماد هذه الأمة ،

وانهياره والحيلولة دون قدرته على القيام بواجبه فى بناء المجتمع (١٩٠ ألف مدمن لأنواع مختلفة من المخدرات) •

تاسعا : الاختلاط فى التعليم والعمل وعدم حماية الفتاة من أخطـــار الإغـــراء والخـــداع ، وبروز ظاهرة الرقص فى برامج التليفزيون على نحو مثير واتساع نطاق القصة المكشوفة لكتـــاب تفتح لهم الصحف أبوابهـــا ، وتقـــديم مفاهيـــم منحرفة وأعراف مضطربة لا يقرها الإسلام فى العلاقات بين الرجل والمرأة والزوج والزوجة والأب والابن •

عاشرا : سلاح (الكاسيت) المفزع وظهور أشرطة الفيـــديو المكشوفة وتيسر الحصول عليهـــا وخطـــر عرضها بين الأسر وأمام الفتيات والزوجات على ما بها من مناظر الالتقاء الجنسى الفاضح ، وأثر ذلك النفسى على الشباب والفتيات على السواء •

حادى عشر : العجز الواضح أمام الطريق الصحيح للعلاقات الشرعية بين الشباب من انحراف الآباء والأمهات من ناحية ، أو من العجز عن تيسير عقد الزواج أو الحصول على مسكن للزوجية مما يضـــاعف اضطراب المجتمـــع بقيامه علاقات يائســـة بين الشباب والفتيات على أساس الخداع وتزجية الفراغ ، مما يدفع ألى تدمير البكارة نظراً لانغلاق الطرق أمام قيام علاقات طبيعية بين الفتى والفتاة عن طريق الاتجاه الشرعى الصحيح ، ولا ريب أن للأفلام الجنسية أثرها فى رفع نسبة هذا الهياج العاطفى واضطرابه •

ثانى عشر : هذه المطبوعات المشبوهة التى توزع والتى كتبت بجميع اللغات ، وتعليم اليوجا والدعوة إلى أن كل شىء له أصـــل فى الفرعونية ، وكتب السحر والخرافات والدراسات الواسعة عن الأساطير والمأثورات الشعبية ومؤتمراتها كل هذا يخفى من ورائه

حربا عنيفة للإسلام • ولا ريب أن لكتاب الجنس أثراً واضحاً فى هذه المخاطرات التى يمر بها هذا المجتمع ، وأن هناك كتابا تخصصوا فعلا منذ سنوات طويلة فى هدم الشخصية الإنسانية أخلاقيا ، وتدميرها ، وأصابع الاتهام تشير إليهم ، وهم فى هذا يحققون أهداف « بروتوكولات صهيونية » بالقضاء على الجيل الشاب المسلم المعاصر وهدمه وتدميره •

ولا ريب أن الحلول التى قدمها العلمانيون لمواجهة هذه الأخطار كلها غير كافية وغير حاسمة ، وأن هناك منطلقا واحداً لتصحيح هذا الطريق وللقضاء عليه هو التماس منهج الإسلام •

إن أفلام الجنس والجريمة هى التى فتحت الباب واسعا أمام الشباب الذى لم يكن محصنا بثقافة إسلامية أساسية تحول بينه وبين الانخراط فى الفساد والتحلل ، ألا يحسن أن نراجع أنفسنا وندرس مصدر الخطر الحقيقى حين نجده فى (الصحافة — وسائل الترفيه — قصور التربية فى مجال التعليم — غياب القدوة فى المنزل والمدرسة والشارع) ؟

إن ظاهرة الانحراف التى تبرز واضحة فى مجتمعنا اليوم ، من خلال هذه الظواهر المختلفة تؤكد أنها ظاهرة حقيقية لها جذورها ، ومهما حاولت أقلام مختلفة اقتراح الحلول فإن هناك حلا واحداً وطريقا واضحا لا سبيل غيره هو (أسلمة المجتمع) •

أولا : بناء نظام تربوى إسلامى جديد يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن النظام التعليمى الغربى الذى يطبق الآن ، يقوم على أساس الأخلاقية الإسلامية والمسئولية الفردية ، ويفرق فى التعليم بين تعليم الرجال وتعليم النساء •

ثانيا : إعداد المجتمع إعداداً تاما لقيام المنهج الإسلامى فى المعاملات التجارية والاجتماعية •

ثالثا : بناء القوانين الجديدة على أساس الإسلام الذى تختلف منطلقاته عن منطلقات القوانين الغربية ، التى قامت فى مجتمعات لها طوابع وثنية ومادية وإباحية ، تختلف عن مجتمع التوحيد الإسلامى ، ولذلك فإن إصلاح القوانين الحالية مع الإبقاء على منطلقاتها يجعلها قاصرة على تحقيق النهضة الإسلامية المرتجاة ، ويمكن للمفهوم الغربى من الاستمرار مرحلة أخرى •

إن هناك قوى كبرى تريد أن تستبقى طابع التغريب على قوانينا وتحول دون أن نتحرر تماما من هذه البنية ، ولا ريب أن حركات دعوى النبوة والبهائية والروتارى وغيرها ، كلها مؤشرات لمخطط كبير يجرى تحريكه ، بقوة لهدم مقومات هذه الأمة ، ولابد أن القوى الوطنية واعية لذلك وأنها قادرة على كشفه وإفساده •

وإننى أحمل الصحافة القومية أكبر التبعات فى الأخطار التى تحيط بالمجتمع المصرى ، فهى من خلال كتابات بعض الكتاب اللامعين ، وإعلاناتها (التى تفرض فكراً وافداً مدفوع الثمن — وكاريكاتيرها) توجه من وراء الوعى إلى الانحراف ، وتعطى هذا الانحراف طابع الشرعية والقبول ، فهى إن كانت فى مظهرها فى خدمة أهداف الوطن فإنها تخفى هويتها التغريبية وراء الأبواب الأخرى : كالسينما والمسرح والكرة وصفحة الأحداث (الجرائم) والأعمدة ، فهى تعرض مخططها من خلال تصورات ساخرة أو منقولة من صحف أجنبية أو من كتابات وجوديين وإلحاديين فى أعمدة الرأى ، وبذلك تمضى إلى غايتها دون أن تبدو وكأن لها هدفا آخر غير الهدف القومى ، ولقد قدمت كتابات « أنيس منصور » وقصص « إحسان عبد القدوس » و « نجيب محفوظ » وإيماءات « توفيق الحكيم » و « وزكى نجيب محمود » و « حسين أحمد أمين » إيماءات واضحة لأهداف ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الفهــــرس

رقم الإيداع ١٥٦٧/٨٧

الترقيم الدولى ١ — ٨٣ — ١٤٣٠ — ٩٧٧

مطبعة عبير للكتاب والأعمال التجارية

١٦ ش لمعى المطيعى — حدائق حلوان

ت : ٦٨٨٤٨٤